زراعة الحبوب والخضار والفواكه

نتناول هنا إنتاج الحبوب الغذائية الشتوية مثل القمح والشعير، والصيفية مثل الذرة والدخن، في هذه البلاد، قديماً وحديثاً. وبعد ذلك ننتقل إلى الحبوب الأخرى كالأرز وما في حكمها مثل السمسم.

القمح والشعير

القمح من أهم الحبوب الغذائية في هذه البلاد قديماً وحديثاً. وكان المزارعون في العصور الماضية يحرصون على زراعته والإكثار منه، لأنه يشكل الغذاء الرئيسي لمعظم السكان في ذلك الوقت. وكانت زراعته منتشرة في مختلف أنحاء المملكة. ولا يستثنى من ذلك إلا سهول تهامة التي لا تناسب ظروفها المناخية زراعة هذا المحصول، فيستعاض عنه بزراعة الدخن والذرة. ومع أن القمح أكثر أهمية من الشعير عند جميع المزارعين، إلا أن كثيراً منهم يحرصون على أن يخصصوا جزءاً من أراضيهم لزراعة الشعير في كل عام. ويرجع ذلك إلى أن الشعير لا يحتاج إلى وقت طويل لاكتمال نضجه، كما أن احتياجه للماء أقل. ولذلك يُكثر المزارعون في المناطق التي تعتمد الزراعة فيها على الأمطار والسيول من زراعة الشعير، لأن الرجاء في الحصول على إنتاج وفير منه في حالة تذبذب الأمطار، أكبر منه في حالة زراعة القمح. أما المناطق التي تعتمد على الري من الآبار أو العيون، مثل المناطق الشمالية والوسطى والشرقية والمدينة وينبع، فكان التركيز على زراعة القمح، ولم يكن يخصص للشعير إلا مساحات قليلة.

ويختلف الهدف من زراعة الشعير من منطقة لأخرى. ففي المناطق الوسطى والشمالية يزرع الشعير أساساً علفاً للحيوان، خاصة حيوانات السواني.

ولذلك يزرع الشعير قبل القمح في العادة، ويحصد ما بين خمس وسبع حصدات، قبل أن يترك لتنمو سنابله وتحصد لتكون بذوراً للموسم القادم ولذا يعد رخيصاً موازنة بالقمح، وفي المثل «لِحْية يرضيها صاع الشعير وش تزعل منه» لحية: يقصد الإنسان، وش: لأي شيء، تزعل: تغضب، ويعني المثل أن الإنسان الذي يرضيه القليل من الأمور لا حاجة لإغضابه. وفي سنوات القحط، كان الناس يأكلون من ورق الشعير، عندما يكون غضاً ويسمى في القصيم القصيل، ويؤكل ما دام ورقه غضاً، بدون إضافات. أما في الشمال فيسمى الخافور ويعقف ورقه الغض ويوضع في وعاء، ثم يذر عليه الملح المسحوق، ويؤكل كوجبة غذائية في النهار وأحياناً في الليل. ويمضي الفقراء من الناس في أكله من شهرين إلى ثلاثة، حتى تقسو أوراقه قبيل أن تخرج سنابله. ويخلط علف الشعير عادة مع الأعشاب والأشجار البرية، كالثمام والعرفج والرمث وغيرها، لإطعام حيوانات السواني. ولا يستخدم الشعير غذاء للإنسان في هذه المناطق، إلا على نطاق ضيق، خاصة في الفترة السابقة لنضوج القمح، لأن الشعير يحتاج إلى فترة أقصر لاكتمال نموه ونضجه. وأحياناً يبدأ الناس في أكله قبل أن ينضج تماماً، حيث تحمس سنابله بالمقارص ويطحن ويخلط مع التمر. ويطلق على الشعير المعمول بهذه الطريقة في بعض المناطق اسم السَّوِيْق أو الحميس كما يسمى كذلك البَسِيْس. أما في السروات، فالهدف من زراعة الشعير هو استخدامه غذاءً للناس، خاصة إذا لم يتوافر القمح أو الذرة. وعندما يكون إنتاج المزارع من القمح والذرة قليلاً، فإنه يعمد في الغالب لخلط الشعير مع أي منهما لإعداد الوجبات الغذائية المختلفة، ويسمى البغيث. وإذا كان البُر مخلوطاً بالشعير فإنه يسمى المشعورة.

والقمح أصناف عدة تختلف في أسمائها واستخداماتها من منطقة لأخرى. وعموماً فإن هناك نوعين رئيسيين من القمح أولهما القمح الطري أو اللين (الحنطة) أو (الصمَّا)، والثاني هو القمح الصلب (اللقيمي). ويستخدم النوع الأول في عمل القرصان والمرقوق والمطازيز، ويدخل تحته أنواع فرعية منها الصماء السوداء وتسمى الهلباء في بعض المناطق، والصماء البيضاء وتعرف في بعض المناطق باسم الْمُعَيَّه نسبة لأنها تعيي، أي تمتنع عن فصل السنابل. ومن أبرز خصائصها، أنها صعبة التفتت من سنابلها، ولذا فعند دياستها تبقى كمية

حقل قمح

كبيرة من السنابل على حالها دون أن تنفرط حبوبها، ولذلك فلا بد من دقها بعد دياستها، حتى تنفصل حبوبها عن سنابلها. أما إذا رغب المزارع في تخزينها، فإنها تخزن على شكل سنابل، وتبقى سنين طويلة دون أن تتلف أو تتأثر. ومن أنواع القمح الطري أيضاً الجريباء، ومن خصائصها أنها بدون شعاع (سفا) (واحدتها سفاة)، وأنها إذا نضجت تساقط حبها من سنابلها، ولذا يحرص المزارعون على حصادها قبل أن تجف وتيبس. ومن هذا النوع أيضاً الصماميّة والبذرة ونقية في الزلفي، والسمراء والعربي في نجران، والهميس والعسيرية والمابية في عسير وسائر مناطق الجنوب.

أما النوع الثاني، وهو القمح الصلب (اللقيمي)، فيستخدم لعمل أنواع أخرى من المأكولات أهمها الجريش في المنطقتين الوسطى والشمالية، والهريس والمفلق في المنطقة الشرقية. ويدخل تحت هذا الصنف أنواع متعددة من القمح، منها اللقيمي العربي وهو أفضلها، ومنها الطيارة وهي أسرعها نضجاً، ومنها المتليقمة، ومنها السويداء والرقاد وغيرها. وفي حين يطلق على معظم أنواع القمح الطري اسم الحنطة تندرج الأنواع الأخرى تحت اسم القمح أو اللقيمي.

ويوجد في الفقرة من منطقة المدينة المنورة نوعان من القمح هما الزرَّعية، ولون حبوبه بيضاء ومكتنزة، والآخر السندية، وحبوبه نحيفة يميل لونها إلى الاحمرار. وقمح الزرَّعية أجود لعمل القرصان أو الفطير.

ومن أنواع القمح في الباحة؛ الصيب، والسمرا، والمابية، والخولانية وأفضلها النوعان الأولان، وهي أساس صناعة الخبز، والقرصان والدغابيس والمثريّة.

سنابل قمح

والشعير أيضاً أنواع عدة من أشهرها نوعان؛ هما الشعير العربي والجهيلي. ويطلق على الشعير العربي في بعض المناطق اسم أبو دوسه، وهو ذو قصب طويل وسنابل طويلة، ولكن حبوبه غير متراصة وإنتاجه قليل. ويزرع هذا النوع، عادة، في المناطق الوسطى، مخلوطاً مع القت (البرسيم) ويستخدم علفاً للحيوان. أما النوع الثاني فهو الجهيلي، في بعض المناطق، كما يدعى الشعير الكرز في مناطق أخرى، وهو ذو قصب متوسط الطول وسنبلته قصيرة، ولكنه أكثر تفرعاً وأغزر إنتاجاً، وحبوبه بيضاء سريعة الاستواء. وهناك نوع من الشعير يميل إلى الاحمرار، وتنمو الحبوب فيه على الجانبين من السنبلة، وهي حبوب كبيرة وصلبة، واسمه أبو جنيبة، وهو قليل الانتشار. وكان الناس في بعض المناطق يبيعون القمح لارتفاع سعره فيشترون بثمنه حاجاتهم من ملبس وخلافه أما الشعير فيحتفظون به لغذائهم وربما خلطوه بالقمح، وبعضهم يجعل منه علفاً للمواشي.

كما أنهم يشوون سنابل الشعير عند نضجها وقبل حصادها ويأكلونها وهم يعملون في الحقول بخاصة أيام الحصاد. ويستخدم اليوم الشعير علفاً، كما

يستخدمه بعضهم بديلاً للقـهوة، هروباً من الكافيين الموجود في القهوة.

ويتشابه القمح والشعير تماماً، سواء من حيث موسم زراعتهما، أو في مجمل العملـيات الزراعية التـي يتبعها المزارع لزراعتهـما، بدءاً من وضع البـذور في الأرض، وانتهاءً بالحصاد والدياسة وتنقية الحب. وسنتتبع مجـمل هذه العمليات على النحو التالي:

تسـوية الأرض وتـسميـدها. تحـتاج الأرض المزمع زراعتها بالقمح والشعير، عادة، إلى تهيئة وإعداد قبل وضع البذور، ويحتاج الزرع إلى أرض لينة؛ أما الأرض الصخريـة التي يعسر شـقها فلا تصلح لذلك، فلا أمل في زرعـها كما لا أمل في زرع سطح المنزل الصلب؛ قالوا في المثل «ترى التَّمنِّي مثل زرَّاع طايه» أو «كثر التمني مثل مطاخ ماها» الطاية: هي سطح البيت؛ يضرب هذا المثل لمن يعيش على الآمال التي لا نتيجة لها إلا ضياع العمر. ويقولون «ما هي بالشرهة على اللي يزرع بالطايه، الشرهة على اللي يديِّنه» أو «ما الشرهة على زارع بالسطح، الشرهة على اللي يثمنه» الشرهة: ما تشره إليه النفس، وتتطلع إلى الحصول عليه. معنى المثل، ليس الملوم الذي يزرع في السطح، وإنما الملوم هو الذي يداينه لكي يفـعل ذلك؛ يضرب المثـل لمن أعان على فعـل منافٍ للمنطق. ويشمل إصلاح الأرض تنظيفها من الشجـيرات والأحجار والرمال غـير

بحيرة من مياه السيول

المرغوب فيها. وتتفاوت أهمية هذه العملية من منطقة إلى أخرى. ففي المناطق التي تعتمد على الري من الآبار أو العيون، قد لا يُحتاج إلى هذه العملية بتاتاً أو أنها قد تعمل أحياناً على نطاق ضيق، وفي وقت قصير. ويختلف الحال تماماً في المناطق التي تعتمد على الأمطار والسيول، سواء تلك التي توجد على ضفاف الأودية، أو على سفوح الجبال، حيث تجلب السيول عبر السواقي والخلجان كميات كبيرة من الرمال والأحجار، التي قد تغطي، في حالة الفيضانات الكبيرة، جزءاً كبيراً من هذه الأراضي. وتسمى هذه الرمال والأحجار المتراكمة في المنطقة الجنوبية الغربية النَّثِيْله، وهي لا بد من إزالتها باستخدام المحرِّ الذي تجره الثيران، والتخلص منها بإلقائها في بطن الوادي أو إلى جانب المزرعة في سفح الجبل. وإذا كانت الرمال قليلة فقد تستخدم المسحاة والزنابيل للتخلص منها.

ومن الجدير ذكره أن السواقي والخلجان التي تربط بين الوادي والمزارع، أو تمتد من أعلى الجبل نحو المصاطب والمدرجات الزراعية على سفحه، مهيأة دائماً لاستقبال مياه السيول لإيصالها للأرض الزراعية، سواء كانت مزروعة أو متروكةً من دون زراعة، لأن هذه الخلجان تحمل مع الماء تربة جيدة وأوراقاً للأشجار تكون بمثابة سماد للأرض. ولكن إذا زاد حجم هذه السيول فإنها غالباً ما تحمل معها مواد غير مرغوب فيها، مثل الرمال والحجارة الكبيرة، وهي مواد يجب التخلص منها، وإزالتها قبل الشروع في الزراعة.

ومتى نظفت الأرض تماماً من الأحجار ونحوها، يشرع المزارع، عادة، بوضع السماد البلدي (العضوي) وتفريقه داخلها. وتتفاوت الحاجة إلى السماد، تبعاً لطبيعة الأرض المزروعة ومدى حاجتها إلى السماد. ففي المناطق الوسطى والشمالية، حيث تكون المزارع أوسع، يتبع المزارعون نظام تبوير الأرض أو تحيلها ولذلك لا تحتاج الأرض، عادة، إلى سماد. ويصور لنا المثل الشعبي أهمية وجود حيالة في المزرعة قالوا «نخل بلا حياله، مثل إبل بلا خيَّاله» أو «نخل بلا حياله مثل خيل بلا خيَّاله» المراد بالنخل هنا حائط النخل. وخيَّالة: جمع خيال وهو فارس الخيل. ومعنى المثل أن حائط النخل بدون أرض زراعية مكشوفة تابعة له كالإبل أو كالخيل بدون فرسان؛ يضرب المثل على أهمية وجود الأشياء التابعة إلى جانب الأشياء الأساسية، فالبستان من دون أرضٍ ملحقة به يظل ناقصاً، والخيل بلا فرسان لا تجد من يحميها. ويقوم هذا النظام على قاعدة

دورة الأراضي، أي أن المزارع لا يزرع القطعة الواحدة من الأرض موسمين متتاليين، بل يزرعها عاماً ويتركها في العام الذي يليه لتستعيد خصوبتها، بينما يزرع قطعة أخرى إلى جوارها لم تزرع لمدة عام أو أكثر. ويقال في المنطقة الوسطى فلان حيّل الأرض أي تركها حولاً على الأقل من غير زراعة حتى تستعيد خصوبتها. والواقع أن هذه الطريقة لا يقتصر أثرها على زيادة خصوبة الأرض وعدم حاجة المزارع إلى تسميدها فقط، وهو أمرٌ يمكن القيام به بشيء من الجهد والمال، بل إن هذا النظام يقضي على الأعشاب والنباتات الطفيلية التي تنمو مع المحصول مثل الثيّل الذي يضرب به المثل لشدة انتشاره وقوة تمسكه بالأرض؛ قالوا «عرق ثَيِّلَه» الثيلة: واحد الثيل وهو نبات يشبه النجيل، أي هو كعرق الثيل ثابت في الأرض متشعب الجذور لا يمكن اقتلاعه بسهولة؛ ويضرب المثل للأمر لا يسهل التخلص منه بيسر، كما يساهم في تقليل إصابة المحصول بالأمراض المختلفة. وبوجه عام فقد يلجأ بعض المزارعين، رغم تبويرهم لأراضيهم، إلى تسميدها أحياناً، رغبة في زيادة خصوبتها والحصول على محصول وفير. وهذا هو الإجراء الذي ينبغي أن يُجرى. ويقال في المثل «إذا أردت المال وغَلب الرجال، ازرع حيال على حيال»؛ أي ازرع أرضاً محيلة على سابقة محيلة، فتكسب وتفوز.

حيالة

أمـا في المـناطـق ذوات الحيـازات الزراعية الـصغيرة، مثل بعض المـناطق المعتمدة على الري من العيون في المناطق الوسطى والشرقية والمدينة المنورة، أو تلك التي تـتصف بضيق الأراضـي الصالحة للزراعـة، مثل معظم المـنطقة الجنوبـية الغربيـة، فالمزارع في الغالب لا مجـال لديه لاتـباع نظام تـبوير الأرض، فهو يزرعهـا كل عام. بل إن المزراعـين في بعض المناطق، كما هو الحال في المنطقة الجنوبية الغربية، يزرعون أحياناً الأرض نفسهـا شتاءً بالقمح والشـعير، وصيفاً بالذرة والدخن. ولـذلك فإن المزارعين في هـذه المناطق يـلجأون في الـغالب لتسميد الأرض قبل الزراعة، وإلا كانت النتيجة هبوطاً حاداً في إنتاج المحصول، وتُحَمِّل المزارع خسائر فادحة. وأسلوب تسميـد الأرض قبل زراعتها بـالقمح، أسلوب واحد ومتشابه في معظم مناطق المملكة. فالمزارع يعمد إلى نقل السماد العضـوي، من حظائر الحيـوانات التي يمتلكها إلى مكان مـخصص لتجميعه، مجاور للمنزل أو المزرعة، ويبقى السماد عاماً أو نصف عام حتى يشـمس. وقد يشتري المزارع السـماد من الآخرين في حالات قليلة، وينقله إلى الأرض المزمع زراعتها. وتستخدم الحمير عادة في نقل السماد البلدي من حظائر الحيوانات إلى المزارع، وقد تستخدم الإبل أحياناً خاصة في المناطق الجنوبية. وينقل السماد على ظهور الحمير في المنطقة الوسطى داخل وعاء يدعى الوِقْر، أو المنقله وهو مصنوع من خوص النخل ويشبه ظرف الرسائل المفـتوح، ومقـاسه ١٥٠سم ×٧٥سـم تقريباً. أما في المناطق الجنوبية فيستخدم الهَجِيْـر، أو المِرْبَده وتوضع علـى ظهر الجمل. والأول يصنع من شعر الماعز، أما الثانـي فيصنع من جلود الجـمال أو الأبقـار. والمربدة أصـغر من الـهجيـر وتستخدم عنـد عدم توافر الهجير. أما إذا نقـل السـماد علـى ظهور الحـميـر فتسـتخدم مربدة أصـغر حجماً. وفـي الباحة يصنع وعاء نقل السماد من سعف النخيل ويسمى الحصيرة، وتكون حصيرة الجمل أكـبر من حصيـرة الحمار، كما يسمى أيضاً المربد.

ويطـلق المـزارعون عـلى الـسماد العضوي (البلدي) المأخوذ من مخلفات الحيـوانات أسماء عـدة، ففي المـناطق الوسطى والشمالية يدعى الدّمال، وفي المنطقة الشرقية يدعى السـماد والعطن، في حين يطلق عليه في المناطق الجنوبية اسم الدِّمْن أو الدُّمُن بكسر الميم أو ضمها. كما تعرَف عملية نقل الدمن مـن مكان

الحصيرة (الوقر)

تجميعه إلى المزرعة في هذه المناطق بالسفايَة، فيقال «فلان يسفي» أي ينقل السماد إلى مزرعته. ويطلق على هذه العملية في الأحساء السِّراية، ويقال «فلان يسري»، ويسمى المكان الذي يجمع فيه السماد المحَطّ. أما في الباحة فيُقال لمن ينقل السماد من قرب البيت إلى المزرعة أنه يندر الدمن، ويندر هنا بمعنى يُهبطِ. ويوضع السماد في الأرض المراد زراعتها على شكل أكوام منسقة التوزيع، تختلف المسافة بينها بمقدار حاجة الأرض للتسميد وكمية كل كوم. والكوم عادة يتألف من حمولة ما في الهجير أو الوقر أو المربدة مرة واحدة. ويدعى الكوم من السماد في بعض المناطق كُبَّه فيقال: فلان يكب الدمن أو السماد من على ظهر الجمل أو الحمار، أي يقلبه على الأرض بحيث يأخذ شكل كومة دائرية هرمية. وبعد أن يوزَّع السماد البلدي في الأرض، على شكل أكوام، يبدأ المزارع بتفريقه، لينتشر في مختلف أنحاء الأرض الزراعية، تمهيداً لخلطه مع التربة الزراعية أثناء الحراثة. وتستخدم عادة المساحي والمحافر والمناسيف لتفريق السماد وتوزيعه. وفي بعض المناطق، كالمناطق الجنوبية الغربية، تقوم النساء في الغالب بهذه المهمة، ولكن التوزيع في هذه الحالة يكون بالأيدي حيث ينثر السماد في جميع الاتجاهات، ويقال «فلانة تَبُثُّ الدمن»، أي تنشره وتوزعه.

وعندما ينتهي المزارع من توزيع السماد في مزرعته، تكون الأرض بعدئذ جاهزة للحرث، وخلط السماد بالتربة، ثم مسحها لتصبح جاهزة لنثر البذور والحراثة، إذا نزلت الأمطار خلال تلك الفترة، حيث تجعل عمل الحراثة أكثر يسراً. وفي هذه الحالة يكون المزارع قد وضع بذوره على العفير، أي على رطوبة ماء المطر. أما إذا لم تسقط الأمطار بعد توزيع السماد، أو قبله بفترة وجيزة فإن المزارع في معظم الأحيان، خاصة إذا كانت الأرض قاسية وشديدة، يقوم بري الأرض ثم يتركها لعدة أيام قبل الشروع في وضع البذور. ويطلق على هذه الرية في معظم مناطق الجنوب البَغْرَه، فيقال «فلان يَبْغُرُ أرضه» أي يرويها، استعداداً لبذر القمح أو الشعير، أو حتى الذرة أو الدخن. وإذا ارتوت الأرض من السيل يقال «بَغَرها السيل»، أما إذا ارتوت من المطر مباشرة فيقال «ابْتَغَرَت الأرض من قيسها من السماء» أي مباشرة من السماء، دون ري من الآبار أو سيول الأودية والشعاب. وفي نجران يطلق على هذه الرية تَحـمِيم الأرض، أو حمّها فيقال «فلان يُحـمِّم الأرض» أي يرويها قبل البذر. وفي الأراضي التي تغمرها السيول يقوم المزارع وعائلته بعد ذلك، وقد يكون قبل البذر بيوم أو يومين، بإبعاد ما أتت به السيول من الأحجار الصغيرة والأعواد الخشبية، حتى تكون الأرض نظيفة تماماً قبل وضع البذور. ويؤدي هذه العملية البسيطة الأطفال الصغار من بنين وبنات، وتدعى في مناطق الجنوب التَبْشِير. وبعد أن تروى الأرض، سواء من المطر أو من مصدر آخر، وتنظف من الأحجار الصغيرة وغيرها تصبح جاهزة لوضع البذور والحراثة.

الحراثة والبذر. بعد تهيئة الأرض للزراعة بتسويتها وتنظيفها من الأحجار والأشجار ونحوها، يشرع المزارع في وضع بذور القمح والشعير في الأرض وحرثها بعد ذلك مباشرة. ويبدأ موسم بذر القمح والشعير في الفترة الممتدة من بداية الوسمي (منتصف شهر أكتوبر) إلى منتصف المربعانية (٢٠ ديسمبر). ويبدأ المزارعون في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية في وضع البذور في الأرض قبل المزارعين في المناطق الوسطى، كما أن المزارعين في المناطق الوسطى يبدأون موسم زراعة القمح قبل المناطق الشمالية.

وأفضل الأوقات لبذر القمح والشعير في المناطق الوسطى من المملكة، هي الفترة الممتدة من أواسط الوسمي (منتصف نوفمبر) حتى منتصف المربعانية

(منتصف شهر ديسمبر). وكان أغلب المزارعين في هذه المناطق يزرعون القمح والشعير في الفترة من منتصف الوسمي، حتى منتصف المربعانية، أي إذا صار نجم الثريا يغرب عشاءً، وهم يتّبعون في ذلك مثلاً زراعياً توارثوه جيلاً بعد جيل؛ يقول:

إلى طلعت الثريا من عْشيّا
ترى زرع الشتا قد تهيا

أي إذا طلع نجم الثريا وقت صلاة العشاء الآخر، فذلك بداية وقت زراعة القمح. أما في المناطق الجنوبية فعادة يبدأون البذر مع بداية الوسمي، وهم يتَّبعون المثل نفسه ولكنهم يفسرون العشيا هنا بصلاة المغرب، وهو اصطلاح متعارف عليه قديماً على نطاق واسع؛ وقد يروى المثل في بعض المناطق هكذا «إذا غابت الثريا من عشيا، عيشك من زريعك تهيا»؛ أي يمكن أن تحصل على عيشك منه لأنه قارب الاستواء والنضج. والقمح والشعير الذي يزرع من بداية الوسمي حتى بداية المربعانية يطلق عليه الزرع الربعي، أما الذي يتأخر عن ذلك حتى أواخر المربعانية وشباط، فيطلق عليه الزرع الصيفي. والأول أفضل وأغزر إنتاجاً؛ لذا فإن معظم المزارعين يختارون التوقيت الأول، ما لم يكن هناك سبب قاهر للتأخير، كحدوث خلل في البئر أو عدم قدرة المزارع على توفير البذور وحيوانات السواني في الوقت المحدد.

وفي منطقة المدينة المنورة (ألاب والفقرة) يزرع الشعير في الحقول البعلية (الرياض) التي تقع في الأودية، أما القمح فتفضل زراعته في المناطق الباردة وبخاصة أعالي الجبال مثل الفقرة. وحقول الجبال يغلب الطين على أرضها، أما رياض الوديان فتغلب النثيلة على أراضي حقولها.

ويزرع الشعير في أطراف الحقول (الرياض) لغلبة النثيلة على تربتها أما وسط الحقول (الرياض) فيغلب عليها الطين فتكون أصلح لزراعة القمح. وفي الأراضي الجبلية الباردة يزرع الشعير أيضاً ولكن زراعة القمح غالبة.

أما إعداد الأرض فيبدأ من تخليصها من النجم (النجيلة) وذلك بعزق الأرض عزقاً عميقاً، والنجم أخطر الحشائش التي تنشأ في الأطيان.

وفي الفقرة حيث تنتظم الحقول في الشعاب مُشكِّلَة سلسلة من الحقول (الرياض) كفقرات الإنسان عند تكرار هطول الأمطار وجريان الغيلان من أعالي الشعاب مروراً بالحقول مما يتطلب تصريفها تفادياً لأضرارها؛ فإن المزارعين يعمدون

إلى مد قناة تتوسط الحقول من أعلاها إلى أسفلها حيث الجسر باتساع خمسة عشر سنتيمتراً تتجمع فيها المياه الزائدة وتنصرف إلى فتحة صغيرة في الجسر فتفيض منها، وهكذا في سائر الحقول، وهذه الفتحة غير المفيض، وهي مصرف الزائد من مياه السيول، ترتفع عن سطح الحقل كثيراً بينما تلك تنخفض عنها.

أما السماد فيسمونه في وادي الصفراء كرْمه وله موسم معين (الخريف) فيقال «فلان يكرم بلاده» أي يسمدها، ويُنشر السماد ثم تُعزق الأرض ثم يُسوَّى سطحها وهذا يخص المزارع التي تروى من العيون، أما الحقول البرية فإنه يندر تسميدها لأنها تزرع مرة واحدة في العام (قمحاً أو شعيراً) وربما زُرعت مرة أخرى بطيخاً وقثاء، وتبقى فترة طويلة معرضة للشمس.

وفي الأحوال العادية يكون المزارع مع اقتراب موسم زراعة القمح والشعير، قد جهز بذوره، وأعد عدته، ووفر ما يلزم من نفقات، وأصلح ما يلزم من أدوات ووسائل. والواقع أن عملية انتقاء البذور الجيدة للموسم الجديد، تبدأ في الغالب قبل فترة طويلة من ذلك، أي في نهاية الموسم السابق عند جني المحصول، وفصل الحبوب وتنظيفها. ففي هذه الفترة، يعمد المزارع، عادة، إلى اختيار أجود الأصناف وأنقاها من الشوائب، ويخزنها في مكان منفرد يختلف عن المكان الذي تخزن فيه الحبوب المخصصة للاستهلاك والأكل. وقد يصل حرص المزارع على هذه الحبوب المنتقاة، التي سيستخدمها بذوراً في الموسم القادم، إلى تعليقها بالسقف، أو وضعها في غرف النوم، حتى لا يتم استهلاكها بطريق الخطأ أو النسيان. وكثير من المزارعين يعمد إلى التقاط سنابل القمح أو الشعير الذي سيتخذه بذوراً في حالة الاستواء قبل عملية الحصاد، ينتقيه سنبلة سنبلة، خاصة اللقيمي الذي يسمى المُعَرَّبَة. فيأتي زرعه في العام القادم نقياً صافياً وكأنه سنبلة واحدة. أما إذا لم تتوافر لدى المزارع أنواع جيدة بعد الحصاد، تصلح أن تكون بذوراً، إما لرداءة الموسم أو لاختلاطها بحبوب الشعير، أو لأي سبب آخر، فإن المزارع يلجأ في هذه الحالة إلى الاستدانة من مزارع آخر أو من التجار على أن يسدد لهم عند الحصاد وجني المحصول.

وعندما يحين وقت البذر، يبدأ المزارع بنثر حبوب القمح أو الشعير وبثها في مختلف جوانب الأرض المراد زراعتها، ويلي ذلك مباشرة حرث الأرض، وتغطية هذه الحبوب بقلب التربة عليها،

سواء باستخدام المساحي، أو باستخدام المحراث الذي تجره الحيوانات (الجارَّه). ويطلق على المحراث اسم السبط في الفقرة وما حولها ويتكون من:

الضمد: وهو ساق خشبية توضع على كتفي الثورين.

السبط: وهو خشبة يعانق طرفها الأعلى منتصف الضمد وتشد عليه برابط من حبال ويفرغ هذا الطرف بمقدار سمك الضمد من حيث تلاقيهما. أما الطرف الآخر فيتصل بالأرض وهو ذو عقفة تثبت فيها اللومة.

اللومة: سكين حديدية مثلثة وحادة الرأس مثقوبة الطرف الآخر بمقدار ما يدخل في طرف السبط. وهي عربية قديمة؛ جاء في لسان العرب «واللؤمة: جماعة أداة الفدّان، قاله أبو حنيفة، وقال مرة: هي جماع آلة الفدّان حديدها وعيدانها... وقال ابن الأعرابي: اللؤمة السنّة التي تحرث بها الأرض».

القائم: عصا تثبت في طرف السبط من ناحية الأرض يمسكها الحارث لتثبيت المحراث والشد بها عليه لتعميق الحراثة، وتشكل مع السبط زاوية قائمة.

الحبال: وتستخدم إما لشد المحراث حين يستخدمه الرجال أو لتثبيت المحراث على الدابة.

وفي حين يطلق على حبوب القمح والشعير البذر في معظم مناطق المملكة، تسمى الذَرْو في المناطق الجنوبية. وتسمى عملية نثر الحبوب البذر، في المناطق الوسطى فيقال «فلان يبذر العيش أو الصمَّا أو اللقيمي» أما في المناطق الجنوبية فاسمها النِفْح أو السْفْح، ويقولون «فلان يَنْفَحُ الحب» أي يذري أو ينثر الحب، لينتشر في أرجاء الأرض المراد زراعتها، كما يسمى البذر الخفيف بالمنطقة الشمالية النبل أو التنبيل. ومن المألوف أن تلهج ألسنة المزارعين عند البذر بالدعاء إلى الله، أن يبارك لهم في زروعهم وأن يطرح فيها الخير والبركة. ومن الأدعية التي يرددها المزارعون في المنطقة الجنوبية الغربية (الباحة)، بهذه المناسبة قولهم «اللهم إنه من أيدينا في يدك، وإنا متوكلون عليك، وحالنا ما يخفى عليك، اللهم اجعله لنا ولمن شَبَره، إلا الشابر اللعين، ذرينا لنا وللشابرين، وللطيور النافرين». ومن أقوالهم أيضاً «للطير وشبَّار الخير» أي أنهم لن يمنعوا محصولهم حتى عن الطير، أما «شبّار الخير» فهو الفقير الذي يأمل أن ينال حظاً من المحصول. ومعنى ذلك أنهم إذا أكرمهم الله بمحصول وفير، فسوف يكون ذلك المحصول طعمة للطير وكذلك

للفقير من الناس، ولن يحرمه حيوان أو إنسان يحتاج إليه.

وتعد حراثة الأرض وتسويتها بعد عملية البذر مباشرة، أمراً ضرورياً ولازماً للعملية الزراعية حتى لا تأكل الطيور - خاصة طيور القوبع والعصافير- الحبوب فيذهب جهد المزارع هباء منثورا. ولذلك يعمد المزارع، عند بذاره الأرض، إلى بذر مساحة من الأرض، يستطيع أن يحرثها في اليوم نفسه، ثم ينتقل إلى قطعة أخرى، فيبذرها ويحرثها في اليوم التالي، وهكذا حتى ينتهي من الأرض التي يريد زراعتها في ذلك العام. ونظراً للخطر الكبير الذي تشكله الطيور في هذه المرحلة، فإن المزارع قد يقوم أحياناً بعملية إضافية لحماية بذوره من الطيور. وتدعى هذه العملية في المناطق الوسطى والشرقية نْهامة الزرع، كما يُسمى من يقوم بها النَهَّام أو المندد أو المهيهي. وأدوات النهامة هي المِقْلاَع والمِرْجَامَة، وهما متشابهان في استعمالهما وصنعهما ويستخدمان لرمي الأحجار إلى مسافات بعيدة، في مواجهة الطيور فتطردها وتبعدها عن الحقل والبذور.

والمرجامة أو المرجمة نسيج من الصوف أو الليف أو نحوهما، على هيئة كف الإنسان، ويزيد المقلاع على المِرْجَامَة بأن له أذنين يتصل بهما مسباقان. والمسباقان حبلان، يبلغ طول كلٍّ منهما متراً تقريباً، ويربط كل منهما بطرفي المقلاع أو المرجامة، ويكون في طرف أحدهما عروة ضيقة بقدر إصبع خنصر اليد، يدخل فيه النَّهام خنصره لتبقى مشدودة في يده. أما الحبل الثاني فيبقى طليقاً. ويضع النَّهام الحجر أو مجموعة الأحجار في المقلاع أو المرجامة، ثم يمسك بطرفي حبليها، ثم يومئ بها عدة مرات بقوة، ثم يطلق الحبل الطليق، فتقذف الحجر بعيداً في مواجهة الطيور فتفزعها. ولزيادة إفزاع الطيور يلجأ النَّهام أحياناً، إلى وضع ذؤابة دقيقة في طرف المسباق الطليق وعند إطلاقه بقوة يكون لها صوت مرعب. وتصنع هذه الذؤابة من لحاء شجر الأثل، أو سعف النخل أو ليفه أو من أشجار أخرى كشجر السلب في عسير، وتسمى هذه الأداة الصرقاعة في المنطقة الشرقية والمنطقتين الوسطى والشمالية؛ ومن ذلك قول الشاعر:

والله لين سلمت يالعصفور
لاحط في المقلاع صرقاعه

ويطلق على هذه الأداة المصقاع في الطائف وبني مالك وثقيف، والمِفْقَاع في عسير وجازان والقنفذة، كما تسمى المفراج في نجران.

وجدير بالذكر أن النهامة لا تقتصر على فترة بذار الزرع، بل هناك فترة أخرى للنهامة، هي فترة تكوُّن الحب في السنابل، حتى حصاد الزرع وتخزينه. وقد يستخدم لطرد الطيور كذلك أقمشة أو ثياب تُشّد على أعواد تحركها الرياح، وتسمى مهبوبْ وفي الوسطى تسمى مخيولْ أو مخيالْ. كما تستخدم صفائح توضع الحجارة داخلها، فتصدر صوتاً عند مرور الريح عليها، فتُفزع الطيور وتطردها.

ويلي نثر البذور في الأرض حراثتها، إما بالمساحي أو بالمحراث. وتستخدم المساحي في حراثة الأرض عادة في الحيازات الصغيرة، خاصة في المناطق الوسطى. أما في المنطقة الشرقية فحراثة الأرض بالمساحي للأرض الصغيرة والكبيرة. وتتم عملية البذر والحرث بنثر الحبوب في قطعة من الأرض وحراثتها في اليوم نفسه. وتسمى عملية حراثة الأرض بالمساحي العزق، فيقال «فلان يعزق الأرض» أي يحرثها بواسطة المساحي، كما يطلق عليها أيضاً التَضْرِيب، وفي الأحساء تسمى الندار فيقالَ «فلان يندر الأرض». وحرث الأرض بهذه الطريقة، عملية تعاونية في الغالب ويسمى هذا التعاون في نجد مداوسْ، يشترك فيها المزارعون متعاونين. كما قد يستأجر المزارع أحياناً بعض العمال لمساعدته في هذه العملية. ويجري بين الرجال والشباب كثير من استعراض العضلات، والمنافسة في درجة إنجاز العمل، حيث تجرى المباريات في أيهم يسبق إلى طرف الحقل الأول، وذلك بأن يمسك كل واحد بصف من الحياض تسمى الجنب، ويبدأون من نقطة واحدة من أحد أطراف المزرعة إلى طرفها الثاني. ومن يصل أولاً، مع إتقان العمل، فقد كسب السبق. ويجري خلال هذه العملية (العزق)، مثلها مثل العمليات الزراعية الأخرى كالسني والحصاد، ترديد الأهازيج التي تبعث في النفس البهجة والحيوية والنشاط؛ ومن الأغاني التي يرددها العاملون في التضريب قول حميدان الشويعر:

ما يفك الحذر
من سهوم القدر
ياهبيل العرب
لا تكد القصب

والحراثة (الندار) باستخدام المساحي (العزق)، عملية شاقة ومضنية، وتستمر طوال اليوم، حيث يعمل المزارعون والعمال من طلوع الشمس حتى وقت الأصيل، بل أحياناً حتى غروب الشمس. وتقتضي حراثة الأرض بشكل جيد تعميق

المساحي في الأرض أثناء حراثتها وشمول الحرث للأرض كلها دون ترك بقع لم تحرث أو حرثت بدون قلب تربتها، لأن ذلك يترك بقعاً في الزرع. والحراثة بهذا تحتاج إلى جهد كبير من العمال، وهو ما يقتضي حاجتهم إلى غذاء جيد (دَسْم)، يُمدُّهم بالطاقة ويزيد من نشاطهم. ولكن معظم المزارعين في ذلك الوقت كانت أحوالهم المادية متواضعة، ولا يستطيعون أن يطعموا هؤلاء العمال، إلا ما يتيسر من البُّر، وغالباً ما يخلطون معه القَرَع، والقرع لمن يعمل بالمسحاة ويحرث الأرض غير ذي فائدة غذائية. ولذلك فإن هؤلاء العمال الأجراء أو من قدَّموا المساعدة للمزارع عونة منهم، قد يتغنون في هذه الأحوال بأبيات من مثل:

يامعازيبنا لا تحطوا قرع
فان حطيتوا قرع
أبشروا بالبقع

بمعنى أنه ما دام طعامهم القرع فإنهم سيخففون من جهدهم في عمل المساحي فلا يعمقون الحراثة، وهذا من أكبر عيوب حراثة الأرض حيث تنتشر فيها البقع غير المزروعة. ومن المألوف أن يقيم المزارع بعد انتهاء بذر المحصول وحراثته وسقيه للمرة الأولى، وليمة دسمة لتكريم المتعاونين معه. وتدعى هذه الوليمة الختامة.

حراثة الأرض

أما الطريقة الأخرى لحراثة الأرض بعد وضع البذور فيها، فبالمحراث الذي يجره جمل أو زوج من الثيران. ويتكون المحراث من ثلاثة أجزاء رئيسية، أحدها خشبة يبلغ طولها ما بين ثلاثة أمتار إلى ثلاثة أمتار ونصف تسمى القايد أو السكة أو الجرْو وهي مشقوقة من نهايتها، بثقب يدخل منه حبل الرشا الذي يربط بالجمل أو الثيران لتجره. وعند النهاية الأخرى لهذه الخشبة، توجد خشبة أخرى تثبت بها ومائلة نحو الأمام، وتنتهي بسن من الحديد وهو الذي يتولى شق الأرض وحراثتها، أثناء سحب الحيوانات المحراث، ويدعى هذا السن الدّماغ أو اللسان أو السَّلب. وفوق الدماغ، تثبت عصوان بإدخالهما في ثقبين أُعدا لهذه الغاية، ويرتفع كل منهما بمقدار متر تقريباً، ومهمتهما أن يمسك بهما الرجل الذي يتولى الحراثة، ويوجه بهما المحراث حتى تكون خطوط الحرث مستقيمة ومتراصة، فلا يبقى بقع لم تحرث. ويطلق على هاتين الخشبتين الرفيعتين اسم السيفين، كما تسميان في بعض المناطق السكان تشبيهاً لهما بمقود السيارة. وتسمى في الباحة الأستق، وهي عصا بطول ٨٠سم، وفي رأسها مقبض يمسكه الفلاح أثناء الحرث بيده اليمنى ويمسك سوطاً بيده اليسرى يحث به الثيران إذا أبطأت أو انحرفت عن مسارها. ومزارعو الباحة يحرصون على أن تكون عملية الحرث دقيقة، وتشكل نقشاً في الركيب، وأن تكون خطوطها مستقيمة لا مقوسة. والمحراث لفظ شائع للدلالة على هذه الأداة في مختلف أنحاء المملكة، ولكنها تعرف بأسماء محلية متعددة مثل الشرخ والسِكَّه، في منطقة حائل وسائر المناطق الشمالية، والجارَّة والمحرثة في معظم مناطق نجد، والسحب في المناطق الجنوبية والغربية.

وفي حين يختار أغلب المزارعين ذوي الحيازات الصغيرة، خاصة في المناطق الوسطى والشرقية والشمالية، الحراثة بأسلوب العزق أو التضريب بالمساحي، فإن أصحاب الحيازات الواسعة، غالباً ما يفضلون الحراثة بالمحراث (الجارَّة). ومن ناحية أخرى يعتبر الحرث بالمحراث (السحب)، هو الأسلوب الشائع في بعض المناطق، خاصة المناطق الجنوبية الغربية. والحراثة بالمحراث الذي تجره الإبل أو الثيران، عملية متشابهة في جميع أنحاء المملكة، حيث يعمد المزارع إلى نثر حبوب البذر في قطعة من الأرض، يستطيع حراثتها في اليوم نفسه، ثم يبدأ عملية الحراثة حتى يكمل حراثة ما بذره.

ولا يشذ عن هذه القاعدة العامة إلا منطقة الأحساء وبعض مناطق عسير، كسراة عبيدة، حيث لا ينثر الحب قبل الحراثة، بل بعدها. فيسير شخص خلف المحراث، ليضع حبوب القمح أو الشعير أو غيرها في خطوط الحرث التي تعرف بالثَلمْ. ويقوم الرجال عادة بعملية الحراثة بالمحراث، كما هو الحال بالنسبة للختام والحراثة بواسطة المساحي، لأن هذه العملية تحتاج إلى جهد عضلي، يتمثل في دفع المحراث والضغط عليه أحياناً بالرجل ليدخل في الأرض، خاصة في الأراضي الزراعية الصلبة. وتصاحب عملية الحرث أحياناً عملية تنقية الأرض من بعض النباتات التي لا تزول أثناء الحرث، وتعرف في مناطق الجنوب باسم النَّجْمَه. فهذا النبات لا بد من جمعه مباشرة بعد الحرث، لأنه إذا ترك ينتشر بسرعة فيما بعد، ويصبح ضاراً بالقمح والشعير وغيرهما من الحبوب. وقد يشترك في عملية جمع النجمة، جميع أفراد الأسرة، خاصة إذا كانت النجمة واسعة الانتشار.

وتجري عملية الحراثة باستخدام جملين أو ثورين، فيربط المحراث بهما في خشبة توضع فوق غاربيهما، تدعى مقرن الثيران. وإذا كان الجمل أو أحد الثورين أو كلاهما غير مدربين تدريباً جيداً، فلا بد في هذه الحالة من شخص يقودهما، ويمسك بحبل مربوط بهما، ويسير في خطوط مستقيمة متجاورة، حتى تكون خطوط الحرث كذلك. وقد تقوم المرأة بهذه المهمة، إن كان المزارع وحيداً ولا أجير (صبي) لديه. كما أن المرأة تقوم بأعمال أخرى في عملية الحرث، كإطعام الإبل أو الثيران، وتجهيز أكل وشراب العُمَّال وإحضاره لهم. وفي حالة الضرورة تقود المرأة الإبل التي تجر المحراث.

وكما يحدث عند الحراثة بالمساحي، يردد المزارعون الذين يحرثون أراضيهم بالمحراث، العديد من الأهازيج التي تبعد عنهم، وعن حيواناتهم، السأم والتعب؛ ومن الأهازيج التي تردد في منطقة الباحة على سبيل المثال قولهم:

يـــالله الـــيـــوم يـــاربـــي
يـــاعـــويـــنـــا لـــطـــلابـــه
يـــالـــذي تـــنـــبـــت الحـــب
يـــابـــس يـــوم نـــذرا بـــه

وقول الشاعر:

أبـا اوصيـك ياولـدي حب حـقـك
قـلـيـلـك يغـنيك عـن أهل الـكثـير
ومـــنـــوك ذولا، وغـــروك ذولا
تـعـود عـلـى قـدمـك تـسـتدير

فهذا الشاعر يوصي ابـنه بأن يحب مزرعته، ويقبل على العمل فيها فقليلها يغنيه عما بأيدي الناس ولو كان كثيراً.

وتتباين الأراضي حسـب طبيعتها، في شكل وكثافة الحرث. فالأراضي ذات التربة الهشة، تحرث مرة واحدة. ويقال في هذه الحالـة إن هذه الأرض يكفيهـا وجه حرثٍ واحد. أما إن كانت الأراضي صلبة وقاسية فغالباً ما يعمد المزارع إلى حراثتها مرتـين في اتجاهين متعاكسين. وفي هذه الحالة يـقال إن الأرض تحتاج لوجـهين من الحـرث. وعندمـا تكون الأرض وسطاً بين الحالتين المذكورتين، فالمزارع يكتفي بوجه واحد من الحرث، إلا أن خطـوط الحرث لا بد أن تـكون متجاورة، بل متراصة. وفي هذه الحالة يقال إن هذه الأرض بحاجة إلى تدقيق الحرث، أي جعل خـطوطه متراصة أو متقاربة. وبعد أن يتم المزارع عمل وجه أو وجهين من الحرث، بعرض أو طول القطـعة الزراعية، يُنـهي عمله بحـرث المناطق القريبة من حدود تلك القطعة، أي المناطق الـتي تنتهي عـندها خطوط الحرث. فـيحـرث على الأقـل عشـرة خطـوط بشكـل متعـامد مع الخـطوط السابـقة، حتى يـضمن ألا تبـقى هذه النهايات صـلبة، بل محروثة ومفكـكة التربة فتساعد على دفن البذور وانتشارها. ويطلق على هذه العملية الختامية تَمْخِيْر الأرض، فعندمـا يُمخّر المزارع أرضه، يكون ذلك دلالة عـلى أن الحراثة على وشك الانتهاء في تلك القطعة الزراعية، أو على الأقل الانتهاء مما يجب أن يحرثه في ذلك اليوم.

أدوات الحراثة والبذر. تتشابه أدوات الحراثة بـشكل كبـير وإن اختلفـت في مسميـاتها، أو أسماء بعـض أجزائها. وتنفرد بعض المناطق في المملكة العربية السعودية أحـياناً بأداة أو أداتين، قد لا توجد في مناطق أخرى.

يعد السحب أو الحرّاث في منطقتي الطائف والباحـة، هو الأداة المستخدمة في حرث الأراضي الزراعية وتجره الثيران أو الإبل. ويـتكون الحـرّاث من أربعـة أجزاء، كلها من الخشب، باستثناء جزء واحد يتكون من الحديد. الجزء الرئيسي

السحب (المحراث)

قطعة من الخشب الصلب، معقوفة من أحد أطرافها متخذة شكل زاوية حادة، يطلق عليها في نجد البرك، لكي يثبت بها قطعة من الحديد، تدخل في الأرض، وهذا الجزء يسمى السحب. أما الجزء الثاني فهو قطعة من الخشب، طولها حوالي متر ونصف، بها ثقبان من أحد طرفيها لكي تثبت في السحب، والطرف الآخر ينتهي بقطعة شبيهة بالكرة الصغيرة التي هي جزء من هذه القطعة الخشبية، ولكنها معمولة بهذا الشكل الدائري، كقبضة اليد ليسهل ربطها بالحبال (المقرنة أو المِضْمَدَة)، التي تقرن الثورين ليجرا السحب، ويسمى هذا الجزء الوصلة. والجزء الثالث قطعة خشبية أو قطعتان، بطول متر مدببة من أحد أطرافها ومعقوفة من الطرف الآخر، على شكل زاوية قائمة. وهذا الطرف المدبب يدخل في نهاية السحب، ويثبت في ثقب مخصص لذلك. والجزء العلوي الذي على شكل زاوية قائمة مقبض يمسك به الشخص الذي يحرث ويسمى التابع. أما الجزء الرابع فهو قطعة من الحديد مثلثة الشكل، من أحد طرفيها محدودبة من الظهر، ومنتهية بفتحة تدخل في الجزء السفلي من السحب، الذي على شكل زاوية حادة ويثبت بالطرق، وهذه القطعة الحديدية، هي التي تشق الأرض أثناء الحرث، وتسمى حديدة السحب أو السن ويمكن أن نضيف جزءاً خامساً وهو خشبتان طول كل منهما ١٥سم، ويدخلان في الثقبين الموجودين في الوصلة والسحب لربطهما معاً، ويسمى كل منهما صِكَاكْ. وقد يتكون السحب في هاتين المنطقتين الباحة والطائف من ثلاثة أجزاء فقط، ولكن انتشار ذلك النوع قليل جداً بمعنى أن السحب والوصلة جزء واحد. والهدف من جعله جزءين أي سَحْباً ووصلة، هو المرونة في التحرك أثناء الالتفاف في الحرث أما الوصلة الواحدة فأكثر عرضة للكسر. ويمكن للمزارع أو النجار أن يصنع السحب أو يشتريه من الأسواق الأسبوعية.

وتشبه أداة السحب السابق شرحها، ولكنها تختلف عنها ببعض الجزئيات والتسميات، الجارَّة أو المحراث أو المحرثة أو السكة أو الشرخ وجميعها أسماء لشيء واحد في معظم المناطق الوسطى والشمالية والشرقية من البلاد. وتتكون الجارَّة في هذه المناطق غالباً من أربعة أجزاء، هي المِقْوَد ويوصل طرفها بحبل جيد في قتب البعير أو الثور، الذي يجرها، من الجانبين؛ والبِرْك وهو خشبة

متينة وقصيرة، يتراوح طولها من متر ونصف إلى مترين ونصف، تثبت في خشبة المقود مما يلي طرفها ويثبت بها سن المحراث؛ والسِّن وهي صفيحة حديد صلبة ومتينة مستطيلة، ومحدد طرفها تثبت في خشبة البرك، وهي التي تشق الأرض؛ والسَّيْفَان وهما عودان قويان يثبتان في ظهر المقود فوق البرك، يمسك بهما من يقوم بالحرث، لتنظيم حرث التربة، وبهما يزن آلة المحراث ويثبتها في الأرض.

أما الشَّرْع فهو السّحب نفسه، ولكن هذه التسمية هي الرئيسية بل الوحيدة للمحراث في منطقة نجران. ويتكون من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول قطعة خشبية دقيقة من أحد طرفيها، وعريضة من الطرف الآخر، يربط طرفها الدقيق على رقبتي الثورين لسحب الشرع، أما الطرف الآخر العريض فتدخل فيه قطعة أخرى خلال ثقب مخصص لذلك. وهذه القطعة الخشبية هي الجزء الثاني من الشرع ويكون أحد طرفيها مثلث الشكل، وهو الجزء الذي يثبت به قطعة حديدية تدخل في الأرض أثناء الحرث، والطرف الآخر هو المقبض، ويسمى هذا المقبض عُرفْ، كما يسمى الجزء الأول مِعْنَقَه، أما الجزء الثالث قطعة حديدية، تدخل في الأرض أثناء الحرث تسمى سِنَّه. ويستخدم هذا النوع من المحاريث عند بذر القمح.

محراث (جهاز)

وهناك محراث آخر يُستخدم في نجران عند بذر الذرة، ويسمى أيضاً شرعْ، ويتكون أيضاً من ثلاثة أجزاء ولكنه مختلف نسبياً، ويكمن هذا الاختلاف في أن الجزء الأول؛ وهو المعنقة أو الثور معقوف من نهايته على شكل زاوية حادة، بمعنى أن هذا الجزء ملتحم بالجزء الأول، كما أن المقبض مجوف ومفتوح من الأعلى والأسفل وتوضع فيه البذور لتصب خلف السِنّة مباشرة، وسنته الحديدية أصغر من سِنّة محراث القمح، حتى لا تتعمق البذور وتتأخر في الظهور على سطح الأرض. ويستخدم الشرع الخاص بالقمح في منطقة عسير، وهو واحد من الأنواع الموجودة هناك، ولكن حجمه أصغر ويستخدم في المدرجات بشكل خاص، وتختلف أسماء أجزائه إذ إن الجزء الأول يسمى جَعْبْ والمقبض يسمى سُكّه والسنة تُسمى سَحْبْ. كما يسمون هذا النوع أيضاً الشُّعْبَه.

كما يشبه السحب في الطائف والباحة عُود الحَرث (اللُوْمَه) السِّلْبَ، وهذه الأسماء موجودة كلها في منطقة عسير، ولكنهم يسمون المقبض القَايِم ويسمون الجزء الذي به هذا القائم السلب، ولذلك يطلقون على المحراث كله أحياناً اسم السلب، لأن السلب يمثل الجزء الرئيسي. وقد نسمع كلمة عود الحرث، تطلق على المحراث في بعض أجزاء منطقة الباحة أو الطائف. وقد يكتفى بنطق كلمة عُوْد عند الحرث، فيُفهم من ذلك أنها عود الحرث، وكذلك الحال في القنفذة.

ويسمى السحب في بعض أجزاء عسير الجهاز، والملاحظ أن هناك تسميات عديدة للمقبض في منطقة عسير. فهذا المقبض في بعض الأماكن يسمى القائم، وفي البعض الآخر سُكّه وعند البعض الآخر يُسمى هُدْهُدْ.

ويختلف الحَلِي عن السحب في منطقتي الباحة والطائف، بوجود قطعة إضافية خامسة تستخدم عند بذر الذرة. وهذه القطعة عود مجوف في أعلاه محقان، أو بالأصح جزؤه العلوي شبيه بالمحقان توضع فيه حبوب الذرة، أثناء البذر، وجزؤه السفلي مثقوب تتساقط منه الحبوب أثناء الحرث. ويقع هذا الجزء بين المقبض والسِّنة الحديدية، ويسمى جِلاَبْ أو جَلَبْ. وتسمية الحلي موجودة في منطقة جازان وبعض الأودية المجاورة لها من الشمال، وهو موجود بالأجزاء نفسها في القنفذة والمناطق المحيطة بها، ولكن المحراث يسمى هناك عُوْد الحرث ويُسمى المقبض المَلْزَمة في القنفذة كما يسمى السَاقه في جازان.

أما الشريع فهي أداة للحرث تختلف تماماً عن كل الأدوات السابقة، وتستخدم عند بذر الذرة. وهي عبارة عن قطعة خشبية مجوفة تنتهي بانحناء عند أحد طرفيها. وفي بداية هذا الانحناء يوجد ثقب لتسقط منه الحبوب أثناء بذر الذرة. وهذا الجزء المنحني هو الذي يدخل في الأرض ليشقها أثناء الحرث، من خلال وجود قطعة من الحديد مثلثة وشبيهة تماماً بحديدة السحب والشرع والجهاز والحلي وعود الحرث، وهذا هو الطرف السفلي. أما الطرف الآخر وهو العلوي، فينتهي بمقبض يعدّ جزءاً من هذه القطعة الخشبية المجوفة ولكنه إلى الجهة الخلفية أي إلى الجهة المعاكسة للانحناء من الطرف السفلي. ويتوسط هذه الأداة حلقة تأخذ الشكل المستطيل، وهي من الحديد مثبتة في هذه القطعة من الأمام ليُربط فيها حبل تجره الثيران أثناء الحرث. وتستخدم هذه الأداة في بعض من مناطق عسير، خاصة عندما تكون الرطوبة قليلة أثناء بذر الذرة.

أما المُنْدل فهو عصا طويلة في حدود مترين، تثبت في أحد أطرافها آلة حادة مدببة يصل طولها إلى ١٥سم، تستخدم عند بذر الدخن. وتُعرف هذه الأداة في منطقة جازان والأودية المجاورة لها، حيث يمسك المزارع بطرفها العلوي، ويدخل طرفها الحاد في الأرض ويحفر حفرة صغيرة ثم يضع فيها كمية من حبوب الدخن برؤوس أصابعه، ويمسح هذه الحفرة بقدمه ليغطي الحبوب.

وفي القنفذة وما جاورها، يستخدم المندل لبذر الدخن ويسمى المغراس. ويشبه المندل والمغراس المغراب ولكن قطعة الحديد المذببة أطول وأقوى، لأنها تستخدم لقلع النباتات الضارة التي بين نباتات الدخن والذرة.

والمِدْمَام أو الموساة أداة تسوية التربة بعد حراثتها، ولذا فهي مشابهة للمدمسة من حيث العمل ولكن المدمام كالمسحاة يستخدمه الرجال ولا تجره الحيوانات. والمدمام أو المسواة مشتق من ردم التربة وتسويتها، ويستخدم بوجه خاص في المناطق الوسطى والشرقية والشمالية. ويسمى في نجد الموساة. ويتكون المِدْمام من جزءين: رأس المدمام وهو خشبة مستطيلة وقد تكون على هيئة مثلث. وفي بعض المناطق تكون لها أسنان يثبت في وسطها ثقب واسع يركب فيه النِّصَاب. والشائع أن يصنع رأس المدمام من الخشب، ولكنه قد يكون أحياناً من الحديد، كما في حائل وبعض المناطق الشمالية والوسطى. وفي هذه الحالة يطلق

عليه غالباً المِنساف وليس المدمام أو المسواة. والنّصَاب أو يد المدمام، وهي عصا قوية وتركب في ثقب الرأس وغالباً تكون أطول من نصاب المسحاة لأن أغلب استعمالها في حالة الوقوف.

والمِقْصَب هو أداة من الخشب بكاملها، تشبه المدمام وتقوم بعمله. وهو قطعة خشبية مستطيلة بأبعاد ٤٠سم× ٢٠سم، وله ستة أسنان طول كل سن ١٠سم وعرضها ٣سم تدخل في القطعة المستطيلة، قابلة للتغيير بين فترة وأخرى. ويستخدم المقصب في توزيع الأرض بعد بذرها ومسحها لتقسيمها إلى أحواض وسواق، وهو يسمى في منطقتي الباحة والطّائف المقصب، وفي منطقة عسير المِجْنَب ولا يستخدم في نجران. وهو يصنع من شجر الغَرَب.

تسوية الأرض وتقسيمها. بعد انتهاء عملية وضع البذور وحراثة الأرض، يصبح من الضروري تسوية الأرض ومسح خطوط الحرث وتغطية البذور بالتربة، ومن ثم تقسيم الأرض إلى أحواض أو أشراب. ويستخدم في ذلك أدوات متعددة مثل المسحاة والمنساف، والمدمام (المِدَمَّة)؛ وفي المدمام تقول إحدى الشاعرات:

ياخالك شال مدمامه
كداد ويكرب حْزامه
ياجعل الوقت ما ضامه

ومن أدوات التسوية أيضاً (المنساف)، وهو شبيه بالمدمام ولكن أداة التسوية فيه قطعة مستطيلة من الحديد بدلاً من الخشب. وفي المناطق الجنوبية تستخدم قطعة خشبية عرضها حوالي خمسين سنتيمتراً وطولها متر ونصف المتر يجرها ثوران. ويركب المزارع على هذه القطعة الخشبية لترتص التربة جيداً، وتعرف هذه الأداة بأسماء متعددة، فيطلق عليها المكَمّ في نجران، والمِدْمَسة في القنفذة وبني مالك والطائف، والمِدْسَم في عسير. وتبعاً لذلك يطلق على عملية تسوية الأرض ومسح خطوط الحرث في سائر المناطق الوسطى والشمالية، اسم الدَّم فيقال «فلان يَدُم الأرض دماً» أي يسويها، في حين تعرف هذه العملية بالدمس أو الدسم في الطائف وعسير والباحة والدسم مقلوب عن الدمس.

وفي الأحساء بعد عملية الحرث الندارة، يقوم المزارع بعملية تكسير قطع التربة، إلى أجزاء صغيرة تسمى التكشيح. وتستعمل هذه الأجزاء الصغيرة في تغطية الطبينة، ثم تسوى الأرض وتقسم إلى أحواض. وقبل عملية الدمس

يقوم المزارعون في الباحة بعملية زنَّاق الركيب، أي يتتبعون الأماكن التي لم يصل المحراث إليها، كالأركان والأماكن الضيقة، فيحرثونها بالمسحاة.

وبعد الدمس يقسم المزارعون الأرض إلى حقول طولية تسمى الشُّطْيان وواحدها شطي، ويقَّسم كل حقل طولي إلى أحواض متعددة ومتناسقة تسمى القِصاب وواحدتها قصبة.

وبعد الفراغ من مسح الأرض وتسويتها، تأتي عملية تقسيم الأرض إلى أحواض صغيرة أو أشراب، إذا كانت تعتمد على مياه الري من الآبار أو العيون. أما الأراضي الزراعية التي تعتمد على مياه المطر، كأراضي الزراعة البعلية التي تنتشر في الرياض والقيعان بجوار القرى الزراعية في سائر المناطق الشرقية والوسطى والشمالية، أو أراضي المدرجات الجبلية في المناطق الجنوبية الغربية، فهذه تمسح وتسوى دون تقسيم، بل قد يكتفى بحرثها بعد بذرها دون مسحها وتسويتها، وبخاصة في المدرجات الزراعية الصغيرة. ففي هذه الأراضي المعتمدة على المطر (الزراعة البعلية) لا يقوم الفلاح بأي أعمال إضافية، عدا حماية المحصول من الطير وتنظيفه من الأعشاب الضارة. بل إن بعض أهل البادية الذين يمارسون الزراعة البعلية في بعض المناطق كما في منطقة حائل (أجا وسلمى ورَمّان)، قد يبذرون الأرض ويحرثونها ثم يرحلون إلى منطقة أخرى ولا يعودون إلا وقت الحصاد لجني المحصول. ومن الطبيعي أن هذا النوع من الزراعة يعتمد نجاحه على نزول الأمطار وكميتها وتوزيعها على موسم الزراعة.

وفي الفقرة حيث الزراعة البعلية تحرث الأرض للتشميس وتنظيفها من حشائش النجم وبقايا جذور القمح. وعند ارتوائها من المطر تحرث ويبذر الحب وتسوى الأرض لدفن الحبوب، وعند الإنبات تزرع المساحات والبقع التي لم تنبت وذلك بالشتل أو البذر ويصاحب هذه العملية التخلص المبكر من الحشائش، ولا يهمل المزارع زراعته من تفقدها من حين لآخر.

أما في الزراعة المروية، سواء من الآبار أو العيون، فيلي حراثة الأرض وتسويتها تقسيمها إلى أحواض صغيرة، يفصل بينها حاجز من التراب يُسمى المرز، وفي حائل يُسمى جاربة. ويتوسط كل مجموعة من الأحواض قنوات ري فرعية (سواقي أو سريان) تتفرع من قناة الري الرئيسية، وتروى منها الحياض على

الجانبين. وتقسم الحياض على جانبي كل ساق بأحجام متساوية ومنتظمة تكبر وتصغر تبعاً لدرجة استواء الأرض ومساحة القطعة الزراعية. ويقوم بتقسيم الحياض ونظامها العام شخص ذو خبرة في هذا المجال، خاصة في المناطق المعتمدة على الري من العيون، كما هو الحال في الأحساء والقطيف حيث يوجد أناس متخصصون في هذا المجال، يدعى أحدهم استادْ وهو الذي يخطط الحياض (الأشْرَاب) ويعدلها ويساعد في وضع النظام العام للري، بحيث تكون الأحواض متساوية السطح فلا نتوء ولا انخفاض، وعادة ما تكون أجرته ضعفيْ أجرة العامل العادي. وبعد أن تخطط الحياض وقنوات الري، يبدأ الرجال بوضع الحواجز الترابية بينها. وتسمى في نجد الكِوالّ بالكاف النجدية (مفردها كَالّه) وعمل السواقي، وتستخدم المساحي والمناسيف في ذلك.

وفي المناطق الجنوبية يستخدم أيضاً محراث يجره ثوران، لتقسيم الأراضي الزراعية إلى أحواض صغيرة. فتُعمل شبكة من الخطوط الطولية والعرضية، هي خطوط التقسيم بين الأحواض وبينها وبين قنوات الري. وفي الحالات القليلة التي لا يستخدم فيها المحراث في التقسيم، خاصة في الحيازات الصغيرة، أو عندما تكون الثيران مستخدمة في مزرعة أخرى، يستعاض عن ذلك بسحب المزارع رجله على الأرض الزراعية الممسوحة، وتقسيمها إلى مربعات، أو استخدام المسحاة وجرها بيده لعمل هذا التقسيم. ولا شك أن استخدام المحراث في هذا التقسيم أفضل، وتقسيمه هو الذي كان منتشراً لأن خطوطه أكثر استقامة. كما أن عمق أسنان المحراث في التربة يسهل سحبها لتكوين الحواجز والحدود بين الأحواض، ويساعد على تغلغل الجذور في التربة. وتسمى عملية تقسيم الحياض بالمحراث الشَّطاة في الطائف والباحة وعسير، ويقال «فلان يُشطي» أي يقسم الأرض بالمحراث إلى أحواض. أما في نجران فتسمى هذه العملية التَّخْطِير (والفعل منها يُخَطِّر).

وعقب هذا التقسيم الأولي للحياض، هناك خطوة أخرى تقوم بها النساء في الغالب في سائر مناطق الجنوب عدا نجران، حيث يقمن بتثبيت هذه الخطوط وتدعيمها، على شكل مربعات أو مستطيلات وذلك بحجز التراب وتكويمه وسط هذه الخطوط، إذا كان الخط فاصلاً بين حوضين. أما إن كان ساقياً أو فلجاً، فيُجعل التراب على جانبي

تقسيم الأرض إلى حياض

خط الحرث. وتسمى عملية تقسيم الحياض وعمل السواقي في معظم المناطق الوسطى والشمالية وفي الطائف وبني مالك والباحة وعسير التَقْصِيْب، في حين يطلق عليها في نجران التَضْرِيْب؛ فيقال فلان يُقَصِّبْ أو يُضَرِّب أرضه أي يقسمها إلى أحواض تتخللها سواقي الماء، وفي الأحساء يقال تمسيحْ، وللمشاعيب تشعيبْ.

وعندما يكتمل تقسيم الأحواض وتدعيم جوانبها وتسوية بطونها، تكون عندئذ جاهزة للري. غير أن بعض المزارعين في بعض المناطق، خاصة في نجد، يعمدون بعد تقسيم الأحواض إلى بذرها مرة أخرى وحرثها وتقليبها بواسطة المساحي ثم تسويتها. وفي هذه الحال تكون عملية البذار على مرحلتين؛ إحداهما سابقة للحراثة وتقسيم الأرض، وعادة تكون عملية أولية يرش فيها البذر رشاً. أما الثانية وهي أهم فتلي تقسيم الأحواض، وهي مرحلة البذر الرئيسية، حيث يراعي المزارع أن تنتشر البذور بشكل متساوٍ في كافة أنحاء الحوض قبل أن يحرث ويقلب مرة أخرى، ثم يسوى بالمساحي والمدمام.

وبعد أن تقسم الأحواض وتقام السواقي يشرع الرايس (المفجِّر) بريّ الأحواض مباشرة إلاّ في المناطق الجنوبية

الغربية، فإن الرَّية الأولى قد تتأخر إلى ما بعد أسبوعين من عملية البذر. والواقع أن جميع العمليات السابقة، بدءاً من وضع البذور فحراثة الأرض وانتهاء بتقسيم الأحواض وتسوية أرضها وريها، جميعها عمليات متصلة ومتتالية لا فاصل بينها. ومن الممكن القيام بها جميعاً خلال يوم أو يومين. ففي الأحساء بعد عملية الحرث، تترك الأرض لمدة طويلة، قد تتجاوز الأشهر ثم تأتي عملية التكشيح، وتنظيف الأرض من جذور الحشائش وتجميعها وعمل الطبائن، وإحضار السماد وخلطه مع التربة والطبائن وتقسيم الأرض، ثم ريها وبذرها. والغالب أن تسير هذه العمليات بعضها إلى جانب بعض. فما أن تبذر وتحرث قطعة من الأرض، حتى تجزأ إلى أحواض وتسوى أرضيتها، ويكون الرايس جاهزاً لريها. وما إن تنتهي حتى تكون قطعة أخرى مجاورة، قد بذرت وحرثت وقسمت فيشرع في ريها، وهكذا حتى تنتهي الأرض المزمع زراعتها في ذلك الموسم. وتسقى الأحواض والأشراب من قنوات ري فرعية (سواقي)، تتصل بقناة الري الرئيسية التي يتدفق فيها الماء، من بركة التجميع (الجابية)، وتسمى في الأحساء البركة. فإذا امتلأت الجابية بالماء الذي يرفع من الآبار بواسطة السواني فتح الرايس مطلاع الماء، فيتدفق الماء عبر الساقي الرئيسي ثم إلى أحد السواقي الفرعية. ويدخل الماء إلى الحياض والأشراب، عبر فتحة تسمى المعراض، توضع فيها كمية من الطين تُسد بها الفتحة عند امتلاء الحوض، ويسد بها الساقي عندما يراد دخول الماء إليه، وهي بمثابة سد صغير من الطين والحجارة الصغيرة يحركه الرايس بالمسحاة بين المعراض والساقي، عندما يريد إدخال الماء إلى الحوض أو تحريكه إلى حوض آخر، ويسمى المعدل.

وتتفاوت التسميات المتعلقة بالأحواض والأشراب من منطقة إلى أخرى داخل المملكة. ففي الأحساء، حيث الري غالباً من العيون، يدخل الماء إلى المزرعة عبر فتحة تسمى الفوهة، ويجري في قناة تدعى الفحل أو المسقى أو المحزوم، تقسم الحقل إلى قسمين، حيث يوجد عدد من الأحواض (الأشراب) على كلا جانبيه. وتسمى مجموعة الأحواض على كل جانب من جوانب الفحل الشَّطِيب. أو السلفه أو القايم، وتتفاوت المزارع في عدد الفحول والأشطبة والقوّم حسب مساحتها. ويدخل الماء إلى كل حوض من

الأحواض بفتحة تسمى السكار، ويغلق الحوض عند امتلائه بكمية من الطين والتراب تسد هذه الفتحة وتسمى السْكَار أيضاً. ويفصل بين كل حوض وآخر حاجز من الطين والتراب يسمى الجاربة أو الدوسة. ويطلق على الأحواض أسماء متعددة تبعاً لموقعها في الشطيب فالحوضان الأولان على جانبي الشطيب يطلق على كل منهما اسم الصدراني، ويليهما أخو الصدراني فالرايسة أو السفالة فأخت الرايسة وأخيراً ينتهي الشطيب بحوض كبير آخر في نهايته يعرف بالرايسة كما مر سابقاً.

وفي القطيف يدخل الماء إلى المزرعة عبر قناة رئيسية تسمى السَاقِيَة، وتتفرع من الساقية قنوات فرعية يسمى أحدها المَشْرُوْب، تروي الأحواض والأشراب التي تفصلها عن بعضها مناطق مرتفعة، تسمى الجَابُورْ. وفي حائل والمناطق الشمالية يدعى الساقي الرئيسي القائم كما تدعى السواقي الفرعية السِّرْيان، ويسمى الفاصل بين الأحواض المرْوَز. وفي المناطق الوسطى تسمى قناة الري الرئيسية التي يتدفق الماء عبرها من البركة (الجابِيَة) إلى المزرع القايد أو القايم أو القيوم، وتتفرع منه قنوات فرعية يمنة ويسرة تدعى السواقي، ومفردها ساقٍ، ويتوسط كل ساقٍ مجموعة من الأحواض على جانبيه. ويكون القايد غالباً مرتفعاً نسبياً عن المناطق المجاورة، كما تكون جوانبه قوية وبطنه مردوماً بالطين الجيد لمنع تسرب الماء. وفي الحالات التي يكون فيها ميل الأرض كبيراً، يعمد المزارعون إلى تقسيم هذا الساقي الرئيسي إلى مراحل، تنتهي كل مرحلة بوضع ما يسمى الخارة أو المصبَّة وهي أحجار توضع في بطن الساقي في نقطة معينة، حتى تعمل على تصحيح الميل فتصبح كل مرحلة من مراحل الساقي متساوية الميل تقريباً. وعند الخارة ينزل الماء على شكل شلال صغير له خرير (ومنه اشتق اسم الخارة) إلى المرحلة الثانية من الساقي، وهكذا. وتكثر الخَوَارُّ عادة كلما زاد الميل، وتقل أو تنعدم تماماً عندما يكون ميل الساقي خفيفاً. وعندما يكون الانحدار أقل مما تتحمله الخارة أو المصبَّة، فإنه يوضع له ما يعدل اتزانه من هدب الأثل أو التبن وغيره بالساقي نفسه، ويسمى مَغِيْض (يجمع على مغضان)، فيمنع الانجراف في بطن الساقي. والغرض من عمل الخوار، هو تهدئة اندفاع الماء حتى لا يجرح جوانب الساقي، خاصة إذا كانت ضعيفة، أو معمولة من الرمال وحتى لا يسلب انحدار الساقي الماءَ فرصة البقاء حول الغراس

التي فـي الساقي. ومع أن الخوار عـادة يتركز وجودها في الساقي الرئيسي، إلا أن السواقي الفرعية قد يستلزم الأمر أحياناً وضع خوار فيها إذا كان ميـلها شديداً. وتعرف فتحة دخول الماء إلى الأحواض في المناطق الوسطى باسم المِعْراض، أما الفواصل بين الأحواض فـتدعى الكُوَال (مفردهـا كالَّه)، وتستـخدم كذلك في الأحـساء. ويـطلـق علـى مجـموعـة الأحواض في كل جانب من الساقي اسم سلفه أو كراع، وينتهي الكراع أو السلفة بحوض يعرف بالرايسه. وتسمى الخارة في وادي الصفراء شاروقْ والمصب نشاغْ والساقي سـاقي أو مشقوقْ، والمزر هـو عقم كبير.

وفي المدينة وينبع تسمى القناة الرئيسية التي يتدفق فيهـا الماء من بركة التجميع إلى الزرع القنطرة الأميـه، وتتفرع منها قنوات فرعية تدعى القناطر. ويطلق على الحوض اسم الشرب، كمـا يطلق على مجموعة الأحواض على جانب القنطرة اسم الفَـلَجْ، أما إذا كان هنـاك فلجان على جانبي القنطـرة فيدعيان مجتمعين النبيقة (تجـمع على نبايق)، وإذا كانت هناك عدة نبايق أطلق عليها جميعاً اسم القطعة. وللقنطرة الأمية والقناطر أسماء في مزارع المدن أو القريبة منها. والفلج غير ذلك وربمـا جاء تجاوزاً، والمعروف أن الفلج هو ذلك الممر المائي الذي يمتد مسافات طويلة تحت الأرض تزيد أحياناً عن العـشرة أميال، ويصان مـن خلال فتحات تسمى الخرز ثم يفيض الفلج في مكان يسمى العين أو الشريعة ويقع عند بداية مزروعات القرية، ثم يشق القـرية من وسطها أو جانبها المرتفع فيسمى هذا المجرى دبْلْ وهو القناة الرئيسية التي تتفرع منها السواقي التي تروي المزارع ولا يكون الدبل مكشوفاً بل هو مغطى في بعض أجزائه وله فتحات لتوزيع المياه.

أما فـي المناطق الجـنوبيـة فتسـمى الأحواض في بني مالك والباحة وعسير القِصَاب (مـفردها قصبه)، كما تـدعى الرُوَب في نجران (مفردها رُوْبَه). ويدعى الحد الفاصل بين الأحواض عَذَبَة (جمعها عِذَاب) في سائر منـاطق الجنوب، عدا نجران حـيث يـدعى السَـوْم (جمـعها سيْمَان). أما الساقي الفرعي الذي يوصل الماء إلى الأحواض فيسمى الفَلَج في عسير والباحة وبني مالك، كما يـطلق الاسم نفسه (الفلج) على مجموعة الأحواض الصغيرة على جانبيه. أما الشُطي فيطلق على مجـموعة الأحواض على جانـب واحد من الساقي، وهذا يعني أن الفلج يتكون مـن شطيين. وفي نجران يـطلق

على قنوات الري الفرعية الساقية، كما يطلق على الأحواض على جانب الساقية اسم الشريعه ولذا فالساقية تضم شريعتين؛ وتقول الأهزوجة:

عريسنا دخل دخل

بين الشريعه والنخل

أما القطعة الزراعية كاملة فيطلق عليها في منطقة الطائف والباحة الرَكِيْب (تجمع على ركبان)، أما في عسير فتدعى الذِرَاع أو الجِرْمَه، كما تعرف في نجران باسم الجِرِبَة.

توزيع الماء في وادي الصفراء. أما في وادي الصفراء فإنهم يوزعون الماء في مزارعهم حسب الطرق التالية:

الفلج: وهو مجرى الماء تحت الأرض من عمل الإنسان، ويمتد إلى ما يزيد عن ١٥ كيلومتراً أو أقل.

الخرز: وهي فتحات متتالية فوق سقف الفلج تفتح عند الحاجة لصيانة الفلج ثم تغطى وتُدفن.

العين أو الشريعة: وهي مفجر الماء عند بداية المزارع (البلدان) ومنها تؤخذ مياه الشرب.

الدبل: وهو المجرى المائي المرتفع عن سطح المزارع (البلدان) وهو مغطى بسقوف من الصخر وله فتحات عند المساجد ومداخل المزارع لمدها بالماء وبعض المساجد في داخلها فتحات من الدبل للاستحمام والوضوء.

الساقي: وهو المجرى المتصل بالدبل لتوزيع المياه على المزارع المحيطة به.

البلاد: وهي المزرعة وتتكون أجزاؤها من:

أ) البقع: وهي بقعة مربعة أو مستطيلة حديثة العطاء. (بقعة واحدة).

ب) المشقوق: وهو الساقي الكبير في وسط البلاد (المزرعة) ومن حواليه العقوم والمروز وعندما يشتد انحداره يوضع مرتفع من جذع أو حجارة مستطيلة تحد من انحدار المياه وتكون شلالاً يسمع خرير الماء من فوقه ويسمى الشاروق وقد يسمى المشقوق، أي الساقي.

جـ) المشغل: ويكون في طرف البلاد أرضاً بوراً تم استصلاحها حديثاً وبها غراس، وعندما تكبر وتثمر قد يتحول المشغل إلى بقع.

د) النشاغ: وهو مدخل البقع أو المشغل أو المشقوق، أو موزع الماء داخل البلاد يفتح برفع سدادة أو تربة عنه ويسد بإعادة السدادة أو التراب.

هـ) الزبارة: وهي منطقة تجميع التربة الزائدة المخرجة من أجزاء البلاد نتيجة ردمها من جراء السيول أو الرياح.

الحوض: هو أصغر من البلاد وله مجرى مائي يزوده بالماء من الدبل ويكون أحياناً جزءاً من البلاد.

الرقيبة أو الرقبة: أول بلاد تلي الشريعة.

الزنيبة: آخر بلاد في أسفل المزارع والبلدان.

الوجبة: اثنتا عشرة ساعة.

القلد: حصة البلاد الواحدة من الماء.

الزيادة أو المبيوع: ساعات لصالح القرية يباع الماء فيها على الذين يرغبون في زيادة حصصهم من الماء ويحفظ الثمن لدى أمين القرية، وكلما قلت المياه يزداد ثمنها ويصرف من هذا الدخل على صيانة الفلج والدبل.

القِدْر: إناء نحاسي يملأ ماء ويتبعه إناء صغير (طاسة) ذات ثقب في قعرها توضع فوق سطح الماء في القدر فإذا امتلأت غطست ويمثل ذلك جزءاً من الساعة، ويستخدم عقد الحوض كلما غاصت الطاسات لحساب الساعات التي تخص كل مزراع.

المطراق: وهو الطريق والدروب التي تخترق المزارع.

وفي الباحة إذا كان الركيب كبيراً فإنه بعد حرثه يقسم إلى جزءين بقناة رئيسية في وسطه على شكل الوتر الهندسي، تتولى هذه القناة نقل الماء إلى ميمنة الركيب وميسرته وتسمى الحامل (جمعها حُمّل) ويقال للركبان من باب المدح «عوج الحُمل» وهذه أعلى مراتب الركبان خاصة عند البيع أو الشراء.

السقي. ما إن يلتقط الفلاح أنفاسه، بعد عناء البذر والحراثة وتقسيم الأرض إلى أحواض، حتى يبدأ موسم سقي الزرع الذي يستمر في المتوسط ما بين أربعة أشهر إلى أربعة أشهر ونصف. وقد يصل الموسم إلى خمسة أشهر في بعض أنواع القمح، خاصة القمح الصلب (اللقيمي). ويروى القمح والشعير خلال هذه الفترة ما بين ٦-٨ مرات، يطلق على كل منها اسم طوف، وفي القصيم يطلق عليها دورْ. وتبدأ هذه الأطواف، بالرية الأولى المصاحبة لوضع البذور في الأرض، ويطلق عليها طوف الخِتام أو الخَتَام، وينتهي الري بطوف الوداع، حيث يُحصد الزرع بعده بأسبوع أو أسبوعين. وإذا كان الزرع قد حرث على العفير، أي على المطر، فإن أول رية له تسمى التسمير. ويقوم المزارع بهذه الرية ليثبت مروز أحواض الزرع، ويساوي بطون الأحواض، هذا في منطقة حائل. ولا يتوقف المزارعون عن ري محاصيلهم طوال هذه الفترة،

إلا عندما تنزل الأمطار فتتوقف السواني عن رفع الماء من الآبار. وتسمى هذه الفترة الحطة أو الإناخة، أي إناخة الإبل عن السني.

وتقسم فترة ري القمح والشعير إلى فترتين رئيسيتين، إحداهما تستمر طوال الأشهر الثلاثة الأولى من عمر الزرع. وفي هذه الفترة لا يحتاج الزرع إلى مياه كثيرة، لأنه في بداية نموه، ولبرودة الجو من ناحية أخرى. ولذلك يروى الزرع في هذه الفترة خلال فترات متباعدة. كما أن السواني -إذا كان الري من الآبار- تعمل دون جهد كبير، حيث يقتصر عملها على فترة ما قبل صلاة الفجر حتى غروب الشمس. أما الفترة المتبقية من عمر الزرع وهي حوالي أربعين يوماً، فيحتاج الزرع إلى مزيد من المياه، نظراً لبدء نمو السنابل ولازدياد حرارة الجو، ولذلك تستمر عملية السني والرياسة ليلاً ونهاراً، ويطبق هنا نظام تبديل حيوانات السواني. وتسمى هذه الفترة فترة الشربة، وفيها يعلن الفلاحون حالة الطوارئ للعمل الدائب، حتى إنهم أحياناً قد يعملون بأنفسهم لرفع المياه من الآبار، خاصة إن لم يكن لدى المزارع القدرة على جلب مزيد من الحيوانات لتطبيق نظام تعاقب حيوانات السواني؛ ويشخص الشاعر هذه الحالة واصفاً الزرع في كلا مرحلتيه فيقول:

يسقى على ما هان تسعين ليله
وشهر وعشرٍ ما لماه فتور
ومن عقب عشرين تدانى أوايله
تلقى العشا من ميـر كل بكور

أي يسقى بالهون ودون مشقة مدة ثلاثة أشهر (تسعين ليلة)، أما الفترة الثانية وهي أربعون يوماً (شهر وعشرة أيام) يضاف إليها عشرون يوماً، فيسقى بشكل دائم ومستمر دون أي هوادة أو فتور؛ ويصف شاعر آخر هذه الفترة الجادة من سقي الزرع (الشربة) فيقول:

إلى صارت الجوزا أمامٍ لكنها
جريمة صيد لاحها اللواح
فالزرع بين فتاقةٍ وخناقه
واشتد زند العامل الفلاح

أي إذا ظهرت الجوزاء (وهي ثالث بروج فصل الربيع)، وأصبحت أمامك كمثل مجموعة الظباء (جريمة صيد) التي لاحها الصياد (اللواح) بسهامه، فإن هذه الفترة هي فترة خناقة الزرع (أي تكون السنابل في أعالي القصب) أو خروجها من أكمامها (فتاقه)، وعندئذ يشتد ساعد (زند) العامل الفلاح حيث يحتاج الزرع إلى مزيد من مياه الري، وهو ما يقتضي العمل الدائب ليل نهار؛ ويقول الخلاوي

واصفاً حاجة الزرع إلى الماء في هذه الفترة:

ومن لا يسقي كنة الصيف زرعه
فهو مفلسٍ منها نهار الحصايد

والعامة كانوا يطلقون على فصل الربيع (الصيف).

وهكذا فإن المزارعين (فترة الشربة) أي خلال الأربعين يوماً الأخيرة من عمر الزرع، يبذلون جل طاقتهم في خدمة الزرع وريه، لعلمهم أنه بقدر ما يعطون الزرع من ماء خلال هذه الفترة، يعطيهم إنتاجاً ووفرة في المحصول؛ ونجد في المثل الشعبي تصوير معاناة زارع القمح، يقولون «لولا العقارب كان كلّ يزرع، حتى العجايز ناحلات المرافق».

قال العبودي شارحاً المثل «أي لولا الوقت الذي فيه نوء العقارب وهو آخر الشتاء وأول الربيع، لكان بإمكان كل أحد أن يزرع القمح حتى العجائز اللاتي قد نحلت مرافقهن من الكبر؛ يضرب في أن القمح يحتاج في آخر فصل الشتاء إلى سقي عظيم وجُهْد مضنٍ» (١٩٧٩، ج٣: ١١٥٢).

وجدير بالذكر أن المزارعين إلى جانب ريهم للزرع، سواء أكان قمحاً أم شعيراً، يقومون بعدد من العمليات الأخرى في الفترة الواقعة من وضع البذور والحراثة حتى الحصاد. فبالنسبة للشعير في المناطق التي يزرع فيها لاستخدامه علفاً للحيوانات، يحصد خلال هذه الفترة ما بين ست إلى ثماني مرات قبل أن يترك لتتكون سنابله، ومن ثم يحصد الحصدة الأخيرة لتستخدم الحبوب بذوراً في الموسم التالي، وغذاء للطبقة الفقيرة من الناس. أما القمح، فإن من أهم ما يقوم به الفلاح في هذه الفترة، خاصة مع بداية نمو الزرع وارتفاع سيقانه، هو تخليصه من الأعشاب والحشائش الضارة التي تزاحمه في النمو وتمتص الغذاء عنه. ومن العمليات الأخرى في بعض المناطق، خاصة المناطق الجنوبية الغربية، ما يسمى العَصْف أو العَصِيْف، أي تقطيع الجزء العلوي من الزرع بعد أن يبلغ طوله حوالي ٣٠سم، ويؤخذ العصيف ليقدم علفاً للحيوانات. والغرض من عملية العصف، هو التخفيف على سيقان القمح والشعير إن كان النبات غزيراً، ولذا فإن عملية العصف ليست ضرورية دائماً، وقد لا تجرى أحياناً خاصة في الأوقات التي تكون الأمطار فيها قليلة، ويكون فيها نمو القمح والشعير ضعيفاً. ولذلك فإن عملية عصف المحصول دليل على أن السنة سنة خير وأمطار، ومع زيادتها يزيد نمو القمح والشعير، وتزيد

أوراقهما اخضراراً ووزناً نظراً لزيادة كمية الماء فيها، مما يجعلها ثقيلة على الساق. وحتى لا تسقط السيقان على الأرض، أو تتكسر تحت زيادة وزن الأوراق، يلجأ المزارعون إلى عصف الأوراق والتخفيف منها. وقد تكفي عملية عصف واحدة، وقد تتكرر مرتين أو ثلاثاً، إذا كانت المياه كثيرة، وكان نمو الزرع سريعاً.

وعندما تبدأ سنابل القمح بالظهور، وحبوبه بالتكون فالنضوج، تبدأ المرحلة الثانية وهي نهامة الزرع أي طرد الطيور عنه. وتستمر هذه الفترة حتى حصاد المحصول. وغالباً ما يلجأ المزارعون لطرد الطيور عن المحصول، في السنوات التي يكون المحصول فيها ضعيفاً وقليلاً، أما السنوات التي تغزر فيها الأمطار وتجود المحاصيل، خاصة في المناطق الجنوبية الغربية، فلا يعمد المزارعون لطرد الطيور في هذه الحالة. وتسمى هذه العملية في المنطقة الوسطى رقابه ويقال عن المزارع الذي يقوم بها «يرقب الزرع». كما يسمى منددْ لأنه يندد الطيور عنه.

والقمح كغيره من النباتات، يصاب أحياناً ببعض الآفات والأمراض. ومن أهم هذه الأمراض مرض الصفار، ويدعى أيضاً السيمور أو الرناق، وهو تحول أوراق القمح إلى الاصفرار، مع ميله للضعف والهزال. ويعتبر هذا المرض من الأمراض شديدة الفتك بنبات القمح، حيث يهلك الزرع ويكون محصوله هزيلاً جداً. ويسمى في الفقرة بمنطقة المدينة المنورة السويد، ويصيب السنابل بالتسوس. وأفضل ما يفعله المزارعون لعلاج هذا المرض وتقليل أثره هو حبس الماء عن الزرع حتى يشفى. ويسمى اصفرار الزرع في بعض المناطق محضْ إذا كان بسبب نقص العناصر الغذائية. ويسمى غَرقْ وهو بسبب كثرة الماء مما يقلل الغذاء في التربة واحتقان الماء بين الأوراق ويقال جرْبن.

ويطلق على القمح والشعير عدة أسماء تبعاً لمراحل نموه. فعند خروج نباتات القمح أو الشعير من الأرض، يقال «أَحْقَل القمح» أي نبت، وعند بلوغه ٣٠سم تقريباً يقال «أَعْصَفَ القمح». وعندما تتكون السنابل في أعالي القصب، وقبل أن تتفتح أكمامها يقال «خَنَّق القمح» كما يقال «جرْبن»، فإذا ما بدأت أكمام الورق تتفتح من السنابل فتبدو ظاهرة للعيان يقال «فَتَّق القمح». أما إذا ظهرت السنابل تماماً فيقال «نسف أو جَرَد القمح فأصبح جارداً». وعند بداية استواء الحبوب يقال «أَشْوَطَ القمح» أي يستطيع المزارع أن يأخذ منه شَوَيْطَه

أو شلواطه أو شويّه، أي عدداً من السنابل التي تشوى على النار، ثم تفرك حبوبها فتؤكل. أما إذا ما استوى تماماً، فيقال «نجح القمح أو الحنطة أو الشعير». وعندما يتأخر المزارع في حصاد القمح ويجف، يقولون «هَصَدَ المحصول» أي أصبح القمح في خطر من سقوط سنابله عند الحصاد.

الحصاد وأدواته. بعد أن يروى القمح أو الشعير الرية الأخيرة (طَوْف الوَدَاع)، يترك المحصول برهة من الزمن قد تمتد من أسبوع إلى أسبوعين، حتى يكتمل نضجه وتستوي سنابله ويظهر عليه الجفاف، وعندئذ يبدأ حصاده. وعندما ينضج القمح وقبل أن يجف، وخصوصاً اللقيمي يحضر بعض الأطفال القريبين من الفلاح فيحصد لهم من الزرع ويعطي كل واحد صرة سنبل وهذه الصرَّة فيها عشر سنابل (سبل) تقريباً ويحزمها بأحد السيقان. فيذهب الأطفال إلى بيوتهم ويشوونها على نار هادئة لأنهم لا يأكلون الشعاع الموجود بأطرافها وهي كالحسك رفيعة أبرية وغالباً تلتصق بالفم والحلق إذا لم تحرق؛ ويضرب بها المثل فيقال للشخص الذي لا تستطيع إقناعه أو التخلص منه ومن مناقشته بأنه «شعاعه، ينشب في الحلق» وعند شويها تنضج الحبوب ويُحرق جزء من القشور ثم تؤكل حسب الرغبة، فإما أن تفرك باليدين وتنفخ القشور فيبقى الحب صافياً، أو تؤخذ كل حبة وتوضع بين الأسنان للتخلص من القشور، أو تغرز شوكة نخل في حبة القمح لإخراجها وأكلها. وشعاع السنبلة مستقيم لدن حتى إنه ليضرب بها المثل؛ قالوا «سنبلة تطلع من المخباة» والمخباة ما يسميه الناس اليوم الجيب، ويضرب هذا المثل لمن لا يستقر على حال أو الذي لا شأن له، لأن السنبلة خفيفة الوزن تعلق بجوانب الثوب فلا تنزل إلى القاع. وعملية الحصاد من العمليات الرئيسية، التي يظهر فيها تعاون مجتمع الفلاحين رجالاً ونساءً وصبياناً. فما إن يعلن أحدهم أن عنده حصاداً في ذلك اليوم، حتى يهب الجميع لمساعدته، سواء على سبيل العانية (المعاونة) إذا كانوا مزارعين، أو لقاء كمية من القمح أو الشعير المحصود، إذا كانوا من غير المزارعين، خاصة الفقراء. وتكون أجرة الرجل أو المرأة عادة غمْر من المحصول في نهاية اليوم، وهو ما يستطيع الرجل حمله بين يديه.

وعندما يكون لدى المزارع شعير وعدة أنواع من القمح، يُبدأُ بحصاد الشعير أولاً ثم الأنواع الطرية من القمح الصماء، ثم

يختمون عملهم بحصاد اللقيمي. ويبدأ الحصاد بعد صلاة الفجر ويستمر حتى الظهر، ويأخذ العاملون قسطاً من الراحة بعد الظهر ثم يستأنفون العمل حتى الليل. ويصطف العاملون في الحصاد صفوفاً، كل واحد منهم يأخذ صفاً من الأحواض (سُلْفه) ابتداءً من طرف المزرعة إلى طرفها الآخر. وإذا كان عدد الحصادين أكثر من صفوف الحياض (السُلَف)، فقد يشترك اثنان في السلفة، وقد يعملان جنباً إلى جنب أو يتقابلان، يبدأ كل واحد من جهة من جهات السلفة. ويحصد الحصّاد كل ما أمامه من الزرع إلا البقع الخضراء، فتؤجل إلى آخر يوم من أيام الحصاد فإذا ما انتهى كل شيء حصدت هذه البقع، حتى لو لم تجف.

وعملية الحصاد من العمليات المهمة التي يظهر فيها التنافس بين الحُصَّاد، أيهم يحصد سلفته أو نصيبه من الأحواض قبل الآخر. كما أنها من المناسبات المهمة، التي تردد فيها الأهازيج، التي تنطلق فيها حناجر الحصادين، تعبيراً عن الفرحة والسرور بجني المحصول بعد فترة العناء الطويلة؛ ومن هذه الأهازيج في بعض مناطق المملكة قولهم:

يافرحتي بالغالي
من سهرن ليالي
نبدا بحصد الحب
بارك لنا يا ربي

وعندما يبدأون الحصاد يرددون:

أول ما نبدى نصلي
نصلي يانبي عليك

وعند الانتهاء يختمون بقولهم:

والشغل هذا تمامه
تمه الله بالسلامه

ومن أناشيد جنوب الباحة قولهم:

يالله اني طلبتك
جيدا لا تعوقه
مثل ما عقت زرعا
والسبل في حلوقه

وفي المناطق الجنوبية الغربية يردد الحاصدون عند بدء الحصاد والانتهاء منه:

بسم الله الرحمن
ياساعة الرحمن
بسم الله الرحمن
ساعة سرحنا فيها
بسم الله الرحمن
سميت به وهدان

كما يرددون أثناء حصادهم، عدداً من الأهازيج منها قولهم:

غطرفي ياحديا وانت ياذيب غنه
من تمنى لقانا بشره بالمجنه

وغطرفي تعني زغردي، والمجنة هي المقبرة؛ ومنها قولهم:

يـالله يامـحيـي الـعظـام الرمـيـمه
تقـطع الـراس الذي مـا فيه شـيمـه

ومن هذا النوع من الأهازيج قولهم:

يـالله اليـوم يالله زرعـنا لا تـعـوقه
يـابـر المـصـامـه والـدراج بـيـنك

ومنها قولهم:

الـبيـض لـلعـمال يـستاهـلـونهـا
لـو كان مـية زمـل مـا ينـقـلونـها

وعند العونه إذ شوهد أحدهم واقفاً لا يمد يد لمساعدة للآخرين، صاحوا به:

واقـفـا عـنـدي يـشـوف
كـنـه الـعـيـر الـصـنـوف
مـن يـعـاونـي طـوبـى
كـان أخـيـر مـن الـوقـوف

ومن الأهـازيج الـتي يـرددها مـن يستعان بهـم في الحصاد، عند غدوهم ورواحهم قولهم:

مـا سـرحـنـا مـع الـفـجـر الأول
غـيـر حـشـمـه وقـدر الـرفـيـق
حـي مـن يـهـزع الـصـف الأول
مـثـل هـزع الـبـرد جـال فـيـق

ويُحصد القمح والشعير بأداة تدعى المحش، ويـطلق علـيها أيضـاً المنجل والمخلـب، في بعـض المناطـق ومنهـا القصيم. كما يطلق على عملية الحصاد في بعض المناطق الصِّرَام والصَّرَام بكسر الصاد وفـتحها. وعنـد حصاد القمـح يطرح الحصَّاد ما يـحصده من القمح، على شكل صفوف مجاورة له وتجمع، سواء قام بذلك الحصَّاد بنفسه أو عامل آخر يمـشي خلفـه، على شكـل أكوام صغيرة تدعى غُمُور وواحدها غِمْر. وفي بعض المناطق، كالباحة وبني مالك، لا يُطـرح القمح والـشعيـر على الأرض كالحالة السابقة، بل تربط كل مجموعة من السيقان في حزم صغيرة تأخذ الشكل الأسطواني، ويصل قطر كل حزمة إلى ٣٠سم، وتسمـى هذه الحزمة العُصْدَة وتجمع عـلى عُصَد. ويتـرك المحصول مطروحاً على الأرض، أو عـلى شكل غمور أو حـزم لعدة أيام إذا لم يجـف تماماً. أما إذا كان جـافاً فيشرع مباشرة في تجـميعه فـوق بعضه (تـكديسـه). ويسمى القمـح أو الشعير المجمع بهذا الشكل تكسْ (تجمع على تكوس) وكُدْسْ وكِدْسْ وكَدْسْ، بضم الكاف وكـسرها

المنجل

وفتحها، (تجمع على أكداس وكدوس) في المناطق الوسطى والشمالية. أما في نجران فيطلق على عملية تكديس القمح والشعير السَّرْف، وعلى الكدس السَّرِيْف. وفي الباحة وبني مالك يطلق على التكديس التحبيل فيقال «فلان يَحْبِل القمح» أي يكدسه، كما يطلق على الكدس الحَبيل.

ويكدس القمح والشعير في المزرعة أو الحقل نفسه، بحيث تكون كل سلفة كدساً واحداً. ويشرع في التكديس مباشرة بعد الحصاد، إذا كان المحصول قد جف، بحيث يتولى بعضهم الحصاد ويخلفهم عمال آخرون، يجمعون ما حُصِدَ ويكدسونه. وإذا كان الحصاد مشاركة من الرجال والنساء، فقد يقوم الرجال بالحصاد والنساء بجمع القمح أو الشعير وتكديسه، وقد تقوم النساء بالحصاد والرجال بالتكديس. وفي بعض المناطق، كالمناطق الجنوبية الغربية، لا يكدس الزرع المحصود في مكانه، بل يترك عدة أيام حتى يجف، ثم ينقل إلى مكان آخر مجاور لمكان الدياسة (الجرين) ويدعى المِسْطَار أو المُسَطّح حيث يكدس. ويحمل المحصول من المزرعة إلى جوار الجرين، على أكتاف الرجال وظهورهم في نجران، حيث توضع كمية من سيقان القمح أو الشعير على سنابلها، في وعاء مستدير مصنوع من خوص النخل اسمه مِهْجَانْ، ويربط بحبل ثم يحمل إلى الجرين أو المجرن.

الجرين

أما في مناطق الجنوب الأخرى فيحمل المحصول على ظهور الجمال، وأحياناً على ظهور الحمير.

وتكديس القمح والشعير يأخذ أشكالاً عدة؛ أولها أن توضع السيقان بشكل عمودي، بحيث تكون سنابلها إلى أعلى، ويكون كل كدس أو تكس على شكل دائرة، قد يتراوح قطرها بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وتُتَّبع هذه الطريقة في تكديس الشعير بشكل خاص.

أما الطريقة الأخرى، فهي أن توضع السيقان على الأرض بشكل دائري، بحيث تكون السنابل إلى الداخل نحو مركز الدائرة، والسيقان نحو الخارج، ويشكل الكدس في هذه الحالة دائرة قطرها ما بين ثلاثة إلى أربعة أمتار، وهذه العملية تسمى بيادرْ (واحدها بيدر). وفائدة هذه الطريقة، أنها تحمي السنابل من أن تأكلها البهائم أو الطير، ولكن من مساوئها، أن السنابل قد تتعرض للعفن عند سقوط الأمطار.

أما الطريقة الثالثة، وهي أكثرها شيوعاً، فيرص المحصول صفين متقابلين، بحيث تكون سنابلهما إلى الداخل، وسيقانهما نحو الخارج. ويحرص المزارعون في هذه الحالة على أن يكون أعلى الكدس على شكل هرمي، حتى يساعد على نزول مياه المطر عند هطوله، دون أن تتوغل داخل الكدس.

وأثناء حصاد الزرع وتكديسه ونقله من الكدوس إلى الجرين (القوع) أو المِدْرَس، يتساقط بعض السنبل ويبقى في الأرض الحصيدة، فتأتي نساء من ذوات الحاجة، فيتتبعن ما سقط ويلتقطنه ويجمعنه في زبلانهن. ويقال لهذه السنابل لقاطٌ ولتلك النسوة لقّاطات. ومن الفلاحين من يعطيهن نصف ما التقطن، ومنهم من يدعه كله لهن صدقة. وفي منطقة حائل، كل ما يسقط في الحصيدة من سنابل، وما يسقط أثناء نقل الزرع، وهو الحفال يكون من نصيب زوجة الفلاح، بالإضافة إلى كدس كامل تتصرف به أو بثمنه؛ ومن أمثالهم الشعبية، قولهم «ما في حصيدته لقاط»؛ وهو يضرب مثلاً لمن لا يُلتمس من جانبه الخير والمنفعة؛ وعبروا عن القلة والشحاحة بالمثل الشعبي، قالوا «ما لقى الحَصَّاد يلقى المِتْلَقِّط» أو «ما لقى الجداد يفذ المتسقط» المتلقط: من الالتقاط، أي إن الذي يحصد الزرع لن يدع فيه سنبلاً فيه حب، فكيف بمن يأتي بعده يحاول أن يلقط ما يبقى بعد الحصاد من سنبل؟. يضرب المثل إلى

أن الفوز يكون في المبادرة؛ ولعله يضرب أيضاً على نحوٍ ساخر ليدل على الزهد في المحصول.

وتتشابه أدوات الحصاد إلى حد كبير في معظم مناطق المملكة، مع وجود بعض الاختلافات القليلة. ولكنْ هناك بالتأكيد اختلاف في المسميات، كما هو الحال في بقية الأدوات الزراعية المختلفة. كما أن هناك اختلافاً واضحاً بين أدوات حصاد القمح من جهة، والذرة والدخن من جهة أخرى.

ومن أهم الأدوات الشريم (المنجل، المخلب، المحش)؛ وهو أداة كانت تصنع محلياً في مناطق جنوب غرب المملكة كلها من الحديد. نصلها الذي يحصد به القمح على شكل قوس مسنن، مقبضها قطعة من الحديد بسمك بوصة، طولها حوالي عشرة سنتيمترات، تمسك به اليد أثناء الحصاد. وهذه التسمية موجودة في منطقة نجران، وكذلك في منطقة عسير. وقد عرف في منطقتي الطائف والباحة، بعد نجران وعسير، بهذا الاسم أيضاً، ولكن مقبضه مصنوع من الخشب ومستورد. وتسمى هذه الأداة في المنطقة الوسطى والشرقية المحش، والمخلب، والمنجل، وهو أي المنجل أكثر استقامة في جزئه المسنن مما هو مستخدم في الجزء الجنوبي الغربي، كما أن مقبضه من الخشب، ويعاد توشير المخلب بالموشر كلما دثرت أسنانه وضعفت حدتها، فتعود إليها حدتها وفاعليتها؛ ويبين أهمية هذه الأداة قولهم في المثل «اسمي بالحصاد ومنجلي مكسور» وقد يقرأ المثل بتوجيهه للغائب فيقال «اسمه بالحصاد ومنجله مكسور»؛ ويضرب المثل لمن يشارك في عمل الخير، ولكن بالقول فقط، بينما هو قادر على أن يشارك مشاركة فعلية.

والمَحَش، وهو أداة لحصاد القمح، يستخدم أيضاً لحصد البرسيم وحش الحشيش وهو من أهم أدوات الحصاد ولوازمه لذلك قالوا في المثل «مِن يعِير مخلبه يوم الحصاد؟» المخلب: المنجل. والمعنى من ذا الذي يُعير منجله لغيره يوم حصاد زرعه؟ وهذا استفهام استنكاري يضربه من طلب منه متاع من متاعه في وقت حاجته إليه. ويوجد في المنطقة الجنوبية الغربية بوجه خاص، ويتكون من قطعتين: قطعة من الحديد حادة من إحدى حافتيها ومسننة، وهي تأخذ شكل منقار الصقر، بمعنى أنها معقوفة ودقيقة من أحد طرفيها، وعريضة من الطرف الآخر، تُثْقَب ثقبين من الطرف السفلي العريض، يدق فيهما

مجموعة محاش

مسماران لتثبيت القطعة الثانية التي هي مقبض من الخشب طوله حوالي ٢٠سم. وهذه التسمية موجودة في منطقتي الباحة والطائف، كما في بعض أجزاء عسير، وهو في النهاية يكّون شكل زاوية قائمة. وهذه الأداة تختلف عن المحش المسنن المستخدم في المنطقة الوسطى الذي يشبه الشريم.

والمِجْرَدَه أو العَكْفَاء تشبه المحش، ولكنها أصغر منه، ورأسها معقوف بشدة، وتستخدم في المنطقة الوسطى لتشويك النخل أو تشييفه أو جرده، وهي عملية نزع الشوك من النخل. وفي منطقة حائل يستخدم لهذا الغرض مخلب ذو أسنان صغيرة حادة وتسمى المشيافة لأنها تجّرد الشيف وهو شوك النخل. والمجردة تكون مسننة، أما العكفاء أو المعكف كما يطلق عليها في الأحساء، وتستخدم عندهم لإزالة الكَرَب فقط، فرأسها أكثر إنعكافاً، وهي غير مسننة ولكنها حادة وتستخدم في تنظيف النخل وسحت الجريد. كما يستخدمها صناع الأقفاص أيضاً لسحت الخوص وتنعيم الجريد، بعد قطع العسبان من النخل. وتعرف العكفاء والمعكف في منطقة القطيف باسم المنجل أيضاً، بينما تطلق تسمية المحش والمخلب على الأداة المشابهة ذات

الأسنان. وفي المنطقة الوسطى تختص بالتشويك، وهو إزالة أشواك سعف النخل قبل بدء عملية التلقيح. ولما بين المخلب والمجردة من فرق ضرب بهما المثل لمن يجمع بين وظيفتين «مخْلَبٍ مِجردَه» أو «محش مجردة» والمراد هو كالمِخلب المجردة، أي كالمنجل الذي يستعمل في الوقت نفسه في عمل المجردة. يضرب للرجل يؤدي مهمتين مختلفتين أو مهام مختلفة، كما يضرب للآلة تستعمل على وجهين أو وجوه مختلفة.

ويشبه المِحْطَبُ المحشَ غير المسنن، ولكنه أكبر حجماً سواء في مقبضه الذي يصل إلى قرابة ٨٠سم، أو في الجزء المصنوع من الحديد. وهذه الأداة تستخدم لقطع سيقان الذرة خاصة والأعلاف والشجيرات الضارة المجاورة لأطراف الزرع. وهذه التسمية موجودة في منطقتي الطائف والباحة.

أما المِسْلا فهي أداة شبيهة بالمحش، ولكنها أكبر منه وتستخدم في قطع أعواد الذرة، وكذلك قطع عذوق النخل. وهذه التسمية معروفة في منطقة نجران فقط.

ومن الأدوات المهمة التي لا يستغني عنها أي مزارع في ذلك الوقت المِقْشَعة، حيث تستخدم، بالإضافة إلى بعض

المقشعة

الأدوات السالف ذكرها، لتقطيع وحش الحشائش والأعشاب والشجيرات البرية، التي يقدمها الفلاح علفاً لحيواناته، خاصة حيوانات السواني، حيث يؤدي سحبها على هذه الحشائش إلى اقتلاعها من جذورها. وتتألف المقشعة من قطعتين رئيسيتين، إحداهما قطعة من الحديد حادّ أسفلها، عرضها في حدود ٣٠سم وارتفاعها حوالي ٥-٨ سم، وفي أعلى وسطها ثقب واسع، توضع فيه الوصلة الأخرى (النصاب)، وهو كنصاب المسحاة يصنع من الخشب، ولكنه أطول منه قليلاً.

أما الحَيْف فهي أداة من الحديد تشبه السكين وتسمى في نجد المخشلة، وفي الشمال المقراضة، ويبلغ أقصى طول لها ٤٠سم وعرضها يتراوح بين ١٠-١٥سم، حادة من أحد جانبيها مثل السكين، يُقَطَّع بها العلف الأخضر والجاف للسانية حتى يصبح قطعاً صغيرة،

قابلة لـلتعليف. وللحـيْف مقبض من الحديدة نفسها، وأحياناً يكون له مقبض خشبي.

ويروى أن فتـاة تزوجت من شاب رقيق الجسم اسمه صالح، وكان يعـمل عند فلاح اسمه فـهد. فأسند فهدٌ إلى صالح العـمل بالخشيل أي دق الـعلف للـبهائم، فـقالت زوج صالـح، وكان اسمها رقية:

قـالت رقـيه يـافهـد لا تـخشـلون

يد صالح على شيل المخاشل حسـافه

وهذه الآلة تسمى في الباحة بالمقطع لهـا رأس حديدي، وقاعـدة خشبـية، وتوضع القـاعدة تحت قدم العامـل من باب تثبيتـها أثناء القطع، ويمرر العلـف على السنون الحادة صعوداً وهبوطاً حتى تقطع.

الدياسه. في الوقت الذي يكدس فيه الزرع ويترك ليـجف، يكون المزارع قد أعد مكان الـدياسة، الذي يطلق عـليه الجرين أو القوع أو المداس أو المَدْرَس. ويسمى في المنـطقة الوسطى والأحساء القـوع، والعمـلية تـسمى الـدواس أو الهواس. ويشـترط في القوع أن تكون أرضه مستوية وصلبة وفي فضاء معرضة للهواء، حتى يذرى الحب فيه، وقد يعمد المزارعون أحياناً إلى تغطية القوع بطبقة من الطين الجيد المشبع بالتبن، حتى يكون أملس قوياً. وقبيل نقل القمح أو الشعير إلى الجرين (القوع)، ينظف بالمـلفاع أو العسو، وهو عذق نخلـة، مما تبقى فيه من الأتربة والحصى والأعواد ونحوها. والشائع أن يكون لكل مزارع قوع، ولكن ذلك يعـتمد على سعـة المزرعة وكمية المحصـول وعلى عوامـل أخرى. فقد يكون لمزارع واحد أكثر من قوع واحد، وفي حالات أخرى قد يشترك أكثر من مزارع في قوع واحد، خاصة إذا كـانوا شركاء في البئر حتى لو لم يكونوا شركاء في المحصول.

وبعد أن يعدّ القوع وينظف، تثبت في مركزه خشبة قائمة، أو يوضع بدلاً منها حجر كبير يخرق من أعلاه، ويدار عليه حبل من الجلد (القد)، ويوضع فيه المِجْوَل وهو حلقتان يصل بينهما محور يمكن إحداهما من الالتفاف بمرونة، وقد وصف في مجلد الصناعات. ويربط في هذا المجول أو في العمود الخشبي حبل غلـيظ وطـويل، تـقرن بـه حيوانـات الدياس. وهذه الطريقة في الدياس هي الشائعة في معظم مناطق المملكة، خاصة المناطق الشرقية والوسطى والشمالية.

ينقـل الزرع وهو في سـنابله إلـى الدوسة (الـقوع)، ويُفَرَّق فـيه بشكـل

يجعل السنابل منتشرة في كافة أنحائه، ثم يقلب ويعرّض لأشعة الشمس لعدة أيام حتى يجف تماماً، ويصبح جاهزاً للدياس. وتستخدم في تقليب القمح أو الشعير المَشاغِيْر أو المَقَالِيب أو المحاريث، والمشغار عبارة عن عصا قوية متفرعة في مقدمتها (رأسها) إلى فرعين. أما المقلب أو المقلاب فلا فروع له ولكن نهايته تكون معقوفة، حتى تساعد على قلب سيقان القمح وسنابله. وفي حين يعرف المقلاب بهذا الاسم في معظم المناطق، فإن المشغار يسمى بعدة أسماء منها المِرْدَاد في الباحة وبني مالك والطائف، والمِذْرَى في عسير ونجران. وبعد عملية تقليب القمح أو الشعير، وبعد أن يكون جاهزاً للدياس، يحضر المزارع عندئذ حيوانات الدياس، وتقرن من رقابها بحبل طويل، تكون نهايته مربوطة في عمود الدوسة، أو مجول الحجر الكبير الموضوع في مركز القوع. ويتراوح عدد هذه الحيوانات بين خمسة وخمسة عشر، وعادة لا تزيد عن هذا العدد، وتسمى مجتمعة القَرَن (بفتح القاف والراء). وحيوانات الدياس قد تكون من الإبل، أو البقر أو الحمير، وتفضل الأبقار، عادة، في حال توافرها. وتقرن الحيوانات في القرن حسب قوتها ونشاطها، فتوضع الضعيفة بجوار عمود الدوسة (المركز)، وتدعى القاعد، لأنها أقل الحيوانات سيراً في المداس (القوع). وترتب بقية الحيوانات، حتى يصبح أقواها في الطرف الخارجي للقرن، وتسمى الطايف أو الدائر. والعادة أن تكون الحيوانات من نوع واحد، ولكن الظروف أحياناً قد تحتم على المزارع، أن يستخدم أكثر من نوع، كالحمير والأبقار، وفي هذه الحالة، توضع الأبقار مجاورة لمركز الدوسة في حين توضع الحمير في الجزء الخارجي للقرن لأنها أكثر قوة ونشاطاً من الأبقار. فالبقرة ينالها التعب حتى ضرب بذلك المثل؛ قالوا «بقرة دايسه» دايسه: من الدياس، أي دوس القمح والشعير ونحوهما، وإذا فرغت البقرة من الدياس فإنها تبدو متعبة، خائرة القوى لأنها لم تعتد على ذلك؛ ويضرب هذا المثل للشخص المنهك خائر القوى.

وتكون عملية الدياسة بأن تدور هذه الحيوانات حول محور الدوسة (عمود الدوسة)، وتدوس الزرع بأظلافها وحوافرها، ويكون وراءها سائق يحثها على السير. ويركز السائق في عمله على الحيوان الواقع في نهاية القَرَن (الطايف)، لأنه بمثابة القائد الذي إن أحسن السير

الدياسة

تبعته جميع الحيوانات. وبينما تدور هذه الحيوانات وتدوس الزرع، يكون هناك عدد من الرجال معهم مشاغير ومقالب يقلبون بها الزرع بين الفينة والأخرى، حتى لا تبقى في أسفله سنابل لم تدس. وقد يستدعي ذلك إيقاف الحيوانات عن السير لتقريب أطراف الدوسة الخارجة عن المحور الذي تدور فيه الحيوانات. وتستمر عملية دوس الزرع بمرور الحيوانات عليه وتقليبه وجمع ما يوجد على الأطراف من السنابل، ودفعها نحو وسط الدوسة حتى يداس المحصول تماماً، وتتفكك سنابله وتندق سيقانه وأوراقه. وفي الحالات التي يكون فيها لدى المزارع أكثر من دوسة واحدة (مكان للدياسة)، تنقل الحيوانات (القَرَن) من الدوسة الأولى، بعد دياستها، إلى الدوسة الثانية في الوقت الذي تقلب فيه الدوسة الأولى. وتتعاقب الحيوانات على الدوستين مع تقليبهما حتى تكتمل دياستهما معاً.

وفي بعض البلدان لا يقتصر دور الرجال الدوّاسين على تقليب الزرع بين وقت وآخر، بل يأخذ بعضهم عصياً من خشب التين، تكون خفيفة وقوية ولينة، يضربون بها الزرع والسنابل فيساعدون في تفكيكها، وفي القصيم يستخدمون جريد النخل. ومن الأعمال المألوفة عندما

تكون حيوانات الدياسة من الحمير، أن يأخذ بعضهم طاساتٍ في أيديهم، وعندما يهم أحد الحمير بالتبول أو إخراج الروث يتلقون بوله أو روثه بتلك الطاسات، حتى لا يقع على الحبوب، ولكن جهودهم لا تتكلل بالنجاح في جميع الأحوال. وإذا ربض أحد الحيوانات أثناء الدياس، فإنه يعوق العملية كلها ويصعب إنهاضه، ومن هنا جاء المثل الذي يقول على التشبيه «فلان رابض بالدوسه».

والدياس من العمليات التي يكثر فيها تعاون المزارعين، وغير المزارعين، سواء بالعمل بالأيدي أو المساهمة بحيوانات الدياسة. ومن الأشياء المألوفة في هذا الموسم، أن يعمد المزارع إلى تجميع الأبقار أو الحمير من مراعيها حول البلدة، لاستخدامها في الدياس دون إذن أهلها. ومناسبة دياس الزرع كغيرها من العمليات الزراعية الأخرى، كالسني وحراثة الأرض والحصاد، من المناسبات التي يردد فيها العاملون كثيراً من الأهازيج والأشعار، التي تبعد عنهم السأم وتجدد نشاطهم. بل إن العاملين في الدياسة في بعض البلدان، يحرصون دائماً على أن يكون بينهم أحد الشعراء، يشاركهم في الدياسة ويرتجل لهم الأشعار وهم يرددونها خلفه؛ ومن الأشعار التي كانت تردد في هذه المناسبة قول الشاعر سليمان القباع، من أهل الرياض:

ياعاذلي في الهوى وش لك بعذلي
راعي الهوى بالهوى ماله ملامه
من شرب كاس الهوى ما عاد يسلي
والحب في القلب شيد له خيامه

وقول الشاعر محمد بن سويلم:

حبيب قلبي ترى حبه ذبحني
عزي لمن بالهوى بيح كنينه
في بعض الايام ليت انه نطحني
والا تلاقى نظر عيني بعينه

وفي بعض المناطق تختلف عملية الدياسة في بعض جوانبها عما ذُكر، ففي المدينة وينبع والمناطق المجاورة، لا يوضع عمود أو حجر كبير في مركز الدوسة، كما هو الحال في معظم المناطق الأخرى. ولذلك عند قرن الحمير بعضها ببعض تربط نهايتها في ظهر رجل يقف في المركز، وتدور الحيوانات حوله. ويطلق على هذا الرجل اسم الركيزة، ويستبدل متى تعب من الوقوف. وترتب الحمير حسب نشاطها، فالأضعف يكون بجوار الرجل، ويدعى أيضاً الركيزه أما أنشطها فيكون على طرف الدوسة ويسمى الطائر، ويليه حيوان يماثله في النشاط، ويدعى أخو الطائر.

وفي الفقرة تحصد نباتات القمح بجزها بالمحش وربطها حزماً بمقدار قبضة

اليدين وتستخدم السيقان رباطاً ثم تنقل الحزم إلى الجرين حيث تعرض للشمس، وعندما تجف تنقل إلى موقع يسمى المقر وهو بقعة صخرية مسطحة أو تربة صلبة، ثم تدق أطراف الحزم من ناحية السنابل بأداة خشبية تسمى المنجمة، ويكون الدق بمقدار تفكيك السنابل وعدم تعريض الحبوب للتكسير، وبعد تفكيك السنابل وتحويلها إلى كومة من الحبوب والتبن يجيء دور التذرية، ويكون برفع أجزاء الكومة في زنابيل أو قدور ونحوها إلى الأعلى وتعريضها للهواء الذي ينقل التبن بعيداً وتسقط الحبوب رأسية.

أما في المناطق الجنوبية الغربية فتختلف الدياسة كلياً عما هو شائع في المناطق الأخرى، حيث يداس بأن تجر الحيوانات حجراً فوق الزرع المعد للدياسة حتى تُفتت سنابله تماماً. وصفة هذه الطريقة أن يُنشر القمح والشعير، ويفرّق داخل الجرين (المجرن)، ثم يؤتى في الغالب بثورين، وإلاّ فيؤتى بحمارين، فإن عدما فجمل. ويربط في أي من هذه الحيوانات حجر كبير يصل وزنه إلى حوالي ١٠٠كجم، يطلق عليه في نجران الجُمَير، وفي عسير المدْوَسَه، وفي الباحة وبني مالك الخورمة. وتجر الحيوانات هذا الحجر وراءها، جيئة وذهاباً، حتى يداس القمح أو الشعير تماماً وتنفرط سنابله.

ومن الأهازيج المصاحبة لهذه العملية في هذه المناطق (منطقة الباحة) قولهم:

يامبارك أبا اشكي عليك الذرا
وانت لا ترتضي لي السبب
حي من في أول عياله برا
برناقي كنه الذهب

وقولهم:

تدق لو كانت عصيفا أخضري
الى احتداها الخورم المنخبري

أي إن الدوسة سوف تندق وتنداس، حتى لو كانت أعوادها لّما تزل خضراء، ما دام يتدحرج عليها هذا الحجر الكبير الذي اختير بعناية. والخورم يعني الخَوْرمة وهو الحجر الكبير المستخدم في الدياس.

وإلى جانب هذه الطريقة الشائعة للدياسة في مناطق الجنوب المعتمدة على جر حجر كبير، توجد كذلك طريقة أخرى، تستخدم على نطاق ضيق، خاصة في مناطق عسير وبني مالك، عندما لا يتهيأ للمزارع ثوران لجر حجر الدياسة. وتجرى هذه الطريقة بتجميع عدد من الحمير، يسوقها الدواسون لتدك القمح أو الشعير بحوافرها، ولكن دون أن يربط بها حجر، ودون أن يكون هناك عمود أو حجر في وسط الدوسة،

تدور حوله كما هو الحال في المناطق الوسطى.

وتعرف عملية فرط الحبوب من سنابلها، بالدوس أو الدياسة في معظم أنحاء هذه المنطقة، وكذلك في مناطق المملكة الأخرى، إلاّ في نجران حيث يطلق عليها الكَيْد، فيقال «فلان يكيد الزرع» أي يدوسه. وتبدأ عملية الدياس في هذه المناطق، كمعظم المناطق الأخرى، من بعد صلاة الفجر حتى الظهيرة. فإن لم ينته الدياس عندئذ، استؤنف بعد وقت قصير من الراحة حتى المساء. ويشترك الرجال والنساء في هذه المناطق في عملية الدياس. فالرجال يوجهون الحيوانات ويراقبونها، والنساء يدفعن القمح أو الشعير من الأطراف، نحو وسط الجرين حتى تتمكن الحيوانات من المرور عليه مروراً تاماً. وتسمى هذه العملية التَوْريد أو الترديد، وتستخدم في ذلك عصا ذات رأسين (مشغار) يطلق عليها في هذه المناطق، المرداد أو المذْرَى. وبالإضافة إلى توريد وترديد القمح والشعير من أطراف الجرين نحو وسطه، يقلّب الرجال والنساء أيضاً، الزرع بين وقت وآخر. وفي المناطق التي يربط فيها القمح والشعير على شكل حزم أثناء حصاده، مثل الباحة وبني مالك، تراقب النساء الحزم التي لم تنفك ويقمن بتفكيكها حتى تسهل دياستها. ويقال «النساء تُفَرِّث العصّد أو الحزم» أي تفك وثاقها.

ويردد العاملون أثناء تقليب الدوسة عدداً من الأهازيج؛ ومن أمثلتها قولهم في منطقة الباحة:

جرينا وما فيه
وما ضمت حواشيه
البركات كلها فيه
تصابحه وتماسيه
وللشابر حق فيه
ونعشره ونوفيه
ولراعيه يبارك فيه

والشابر هو الفقير الذي يطلب المساعدة.

وعملية الدياس وما يصاحبها من تقليب وتوريد، من العمليات الشاقة التي لا يستحبها بعض الناس؛ ويجسد هذا الشعور أحد الشعراء فيقول:

ياليتني يوم الدياس غايب
وارعى الغنم في غمق الشعايب

وهذا البيت من الأهازيج التي يرددها العاملون في الدياس في تلك المنطقة.

وبعد أن يكتمل دياس الزرع، بأي من الطرق المذكورة، وتنفرط الحبوب من السنابل، وتندق سيقان الزرع يجمع المزارعون هذا الخليط من الحبوب والتبن،

الذراية

ويجعلونه على شكل كومة هرمية الشكل، في أحد جوانب القوع، أو في مركزه إذا كان المداس لن يستخدم في الدياس إلا مرة واحدة. ويطلق على هذه الكومة من خليط الحب والتبن دُوَيْخه أو دَرِيْخَة في معظم المناطق الشمالية، والعَرَمَه والإقعاد في المناطق الوسطى، والحُرَيْصه في الباحة والطائف وبني مالك، والعُرَمه في عسير، والعُرَنَه في نجران. وأما إن كان المزارع يستخدم المداس نفسه في دياسة عدة أنواع من القمح والشعير، بعضها وراء بعض، فيعمد في هذه الحالة إلى جعل كل نوع في كومة مستقلة. أما إذا كان للمزارع أكثر من مداس واحد، فيكوم الزرع، عادة، في كل مداس كومة واحدة. وعادة يكون مكان تجميع كومة الزرع المُداس (العَرَمَه) في الجهة التي تهب منها الرياح. ففي المناطق الوسطى والشمالية والجنوبية الغربية، حيث تكون الرياح السائدة هي الرياح الشمالية الشرقية والشرقية، يكوم الزرع بعد دياسته في الجهة الشرقية أو الشمالية الشرقية من القوع. أما في المدينة وينبع والباحة، حيث تكون الرياح السائدة هي الرياح الغربية (البحرية)، فيكوم الزرع، عادة، في الجانب الغربي من الجرين.

الذراية. هي تعريض الزرع المدوس للرياح بعد اكتمال دياسته لتصفيته وعزل الحبوب عن التبن. والذراية أو التذرية هي الاسم الشائع لهذه العملية، التي تعني تعريض خليط الحبوب والتبن للرياح، والفعل منها يَذْري أو يُذرِّي. أما في نجران، فيطلق على الذراية التريح، أي تعريض الزرع المدوس للرياح، ويقال «فلان يُرَيّح» أي يذري. وتبدأ عملية تذرية الزرع عند هبوب الرياح متوسطة السرعة، حيث يهرع المزارعون وعمالهم وأحياناً نساؤهم إلى زروعهم، ويعرضونها للرياح لينفصل الحب عن التبن؛ ويقول المثل الشعبي «إلى هبت فاذر» أي إذا هبت الرياح فاغتنمها لذري دوستك، فإن الرياح لا تلبث أن تسكن وتهدأ. وهكذا فإن الذراية ليس لها وقت

معين، لأنها تعتمد على هبوب الرياح. فمتى هبت الرياح، بدأ المزارعون مباشرة في ذراية زروعهم حتى تتوقف الرياح. ولأن نجاح هذه العملية يعتمد على هبوب الرياح المناسبة، نجد معظم الأهازيج التي يرددها العاملون في الذراية، تتركز على الدعاء بأن تهب الرياح وأن يستمر هبوبها حتى الانتهاء من هذه العملية. فتأخرها قد يعرض المحصول للتلف، إن هطلت أمطار غزيرة. ويزيد هذا الاحتمال في المناطق الجنوبية الغربية التي تزيد فيها الأمطار خلال فترة الحصاد.

ومن نماذج أهازيج الذراية في هذه المناطق خاصة منطقة الباحة ما يلي:

يالله في هبوب ريح
وحظ ما يطيح
يالله في هبوب ريح
ونتنسم ونستريح

ونتنسم ونستريح؛ أي ننهي عملنا ونريح قلوبنا وأجسادنا من المعاناة؛ ومنها قولهم:

ياريـاح السعود
استهبي وعودي
ولما تهبي
طفيتك بعودي
وعلقت راسك
براس العمود

ورياح السعود من السعادة؛ وفي منطقة حائل تردد الأهازيج التالية:

هب الهوى ياذاري
لا تفوته وتداري
أسرع ومعك مباري
انته وأم الخزاري

أو قولهم:

هب الهوى شمالي
جتنا بريح الغالي
نذري القصب ونوالي
حلالي ياحلالي

ومن ذلك قول الشاعر:

هبي يانود يانواده
يانسمة جود منقاده
ولك عوده وعواده
عودة شيخ بين اولاده

ومن هذه الأهازيج:

ياريـاح الجود هبي
وانصبي عيدانها
ان قومي حن تثبي
ياعمى ديانها

فالشاعر -هنا- يفتخر بقومه ويقول إنهم عندما يزرعون، فإنه سيفي بحقوق الديانة الذين يحضرون أثناء الذراية لأخذ حقوقهم، ولا يجعل لهم باباً للتضييق عليه.

أما كيفية الذراية فأن يصطف العاملون من الرجال والنساء صفاً واحداً،

بجانب كومة الزرع المدوسة (العرمه)، بحيث يجعل كل منهم أحد جنبيه مما يلي الرياح، ويكون هذا الجنب مجاوراً للعرمه ويأخذ كل منهم غرزة ملء يديه، ويرفعها إلى محاذاة رأسه، ثم يفلتها شيئاً فشيئاً، حتى ينتهي ما معه فيسقط الحب عند الأقدام، وتحمل الريح التبن إلى مسافة متر أو مترين أو ثلاثة. وفي القصيم يستعمل المزارعون محافر (زنابيل) صغيرة يملأونها بالخليط، ثم يفرغونها شيئاً فشيئاً، بعد رفعها إلى محاذاة الرأس، حيث يُمسك المزارع عروتي المحفر مجموعتين بيد، بينما اليدُ الثانية ترفع المحفر. وفي بعض المناطق يتقابل كل رجلين أو امرأتين أو رجل وامرأة، ويحملان معاً ملء أيديهما من هذا الخليط، ويقومان بالعملية نفسها. وعندما تشتد سرعة الرياح، يقوم العاملون بالذراية بحني أظهرهم قليلاً، حتى لا تحمل الرياح الحب مع التبن. أما إذا خفت سرعة الرياح عن المعتاد، يحاول العاملون أن يرفعوا أيديهم إلى ما فوق مستوى رؤوسهم، ليعرضوا هذا الخليط إلى المزيد من الريح، حتى لا يسقط التبن على الحب. وفي كل الأحوال يوضع، عادة، حاجز بين الحب والتبن. وهذا الحاجز خشبة أو عدد من الأحجار يطلق عليها المِرداد أو المَرَد. وتكون

أحجام مختلفة من الزنابيل

الحبوب المجاورة للمرداد، عادة، مختلطة ببعض التبن، ولذلك يأخذ العاملون بتذرية هذا الخليط ويعرضونه للرياح ما بين وقت وآخر.

وبعد أن ينتهي العاملون من تعريض الزرع المدوس للرياح، ويصبح الحب في جانب والتبن في جانب آخر، تنتهي المرحلة الأولى من عملية تصفية الحب وتنقيته. ولكن هذا الحب رغم ذلك يبقى مختلطاً، بدرجة أو بأخرى، بالسنوف أو القروط الصغيرة التي لم تفتتها الدياسة، وبالتبن الذي لم تبعده الرياح. ولذلك فلا بد من ذرايته، وتعريضه للرياح مرة أخرى. فيعبأ الحب في زنبيل، ويرفعه العامل إلى ما فوق رأسه أو على منكبه، ثم يصبه قليلاً قليلاً، فتحمل الرياح ما اختلط به من التبن والسنوف الصغيرة. وتدعى هذه المرحلة من التذرية الكراية أو الكري؛ فيقال «كرينا الزرع» أي ذرَّيناه وصفيناه. وفي نجران تسمى هذه العملية التَّهْبِيْب، كما تدعى في عسير الصَّوْل والسَّرْب؛ فيقال «فلان يهبب الزرع أو يصوله أو يَسْربه» أي يكريه ويذريه ويصفيه بتعريضه للريّاح لتحمل ما به من شوائب.

وتترك في منطقة حائل القروط - وهي السنابل التي لا تتفكك- لزوجة الفلاح وتسمى الحفال ويستعيب الرجال الاستيلاء عليه، وكما هو معروف فإن المرأة تستخدم هذا الحفال لاحتياجاتها الخاصة التي تعود إلى مصلحة بيت الزوجية كأن تشتري بعض الأواني المنزلية وغيرها.

وعند هذه المرحلة، أي بعد تذرية الزرع وكريه، يكون الحب خالياً من كل ما تستطيع الرياح حمله من التبن وغيره، ولكن الحب يبقى مختلطاً ببعض الشوائب، كالسنوف والحصباء وغيرها، فيعمد المزارعون في هذه المرحلة إلى تصفيته تصفية نهائية، بالغرابيل ثم المناخل، إذ يغربل ثم ينخل ليعزل عنه ما علق به من الحصباء والأتربة، ويبقى حباً صافياً نقياً. وتدعى هذه العملية الغربلة كما تدعى في بعض المناطق المَرْح فيقال «فلان يغربل الحب أو يمرحه» أي يصفيه تصفية نهائية. وتمر عملية الغربلة بمرحلتين رئيسيتين، أولاهما يستخدم فيها الغربال، ويكون الهدف منها عزل السنوف (السنابل غير المفككة) وكبار الحصى والحصباء، أمّا الحب فيتساقط من ثقوب الغربال. وتختلف كمية السنوف حسب نوع القمح. فأنواع القمح الطرية (كالجريباء) نقية لا تتبقى منها إلا سنابل قليلة جداً لم تنفرط، أما الأنواع

الصلبة كالمعية (الصماء) والهلباء واللقيمي فعادة ما يتبقى منها سنابل كثيرة لم تنفرط، قد تعادل ما بين ربع إلى ثلث المحصول. ويطلق على هذه السنابل المتبقية في معظم المناطق الوسطى والشمالية القُصَاله، وفي حائل تسمى القروط، كما يطلق عليها الكُرْمَه في نجران والقَصْعَه أو القُصَاعَه في مناطق الجنوب الأخرى، كما تسمى في الباحة القَصْرة. وفي المرحلة الثانية من الغربلة يستخدم المِنْخل، وهو يشبه الغربال ولكن ثقوب شبكته أصغر من ثقوب الغربال، ولذا

الغربلة (النخل)

فعند وضع الحب فيه وتحريكه يبقى الحب في المنخل، على عكس الغربال، وإنما تتساقط من شقوقه الحصيات الصغيرة والأتربة وحب الجرجير ونحوها. وبعد هذه العملية يكون الحب قد صفي من الأتربة والشوائب، فتكون في القوع كومة واحدة، استعداداً لكيله ونقله، وتدعى هذه الكومة الجُثْوَه والصُّبْرَة.

أما السنوف أو القروط (السنابل المتبقية) التي تم عزلها عن طريق غربلة الزرع، أو أثناء كريه فتجمع وتدق. وبعد أن تدق هذه السنابل، تذرى وتغربل وتصفى بالطريقة السابقة. وفي بعض أنواع القمح الصلب مثل الصماء (المعيه)، حيث تبقى سنوف كثيرة بعد الدياس، تنقل هذه السنوف مباشرة إلى المنازل، وتخزن وتكون في حالتها هذه مقاومة للتسوس والآفات. ويأخذ المزارع منها بقدر حاجته، فتدق وتذرى وتصفى وتطحن ثم تستهلك.

أما الحب الصافي المنقى، الذي جمّع في القوع. على شكل كومة، فيكال بالصاع وتخرج زكاته، كما يتصدق الفلاح منه على من يطلب العون أثناء الكيل. ويسدد الفلاح ما عليه من التزامات، سواء للعاملين معه كالساني والرايس وغيرهما أو للتجار، إذا كان

المكيال

قد استدان منهم في بداية الموسم. وما زاد عن ذلك من الحبِّ، فيقسمه الفلاح، عادة، إلى ثلاثة أقسام؛ قسم يختزنه قوتاً له ولأسرته حتى الموسم القادم، وجزء يحتفظ به بذراً للموسم التالي، والجزء الأخير يبيعه ليشتري بثمنه احتياجات أُسرته من مأكل وملبس.

ويحمل القمح المصفى من القوع إلى المنازل في الزنابيل، أو مكاتل الخوص، أو زمائل من جلود الغنم، أو عدول مصنوعة من الصوف؛ ويقول المثل الشعبي «لا تقول بُرّ لين توكي عليه» أي لا تكن مطمئناً على الزرع من الكوارث والآفات، حتى تضعه في عدوله وتربطها (توكيها) عليه، ومثله؛ «لا تقول حب لين توفى قراره» أو «لا تقل حب لين توكي الغراره». وسبب هذا المثل أن محصول البر يتعرض للعديد من العوامل التي يصل بعضها إلى حدود الكارثة ذلك أنه إن سلم من الصقيع فقد لا يسلم من البرد، وإن نجا منهما فهناك مرض يصيب حبيباته بالاحمرار ويسمى مرض اللوس، وأحياناً تمطر السماء وهو في الجرين يداس فيختلط الماء والتبن والبر؛ ولذلك فإن من أمثالهم أيضاً «الصيف صياف ولو تحت الحجر» والصيف هنا هو البر، أما صياف فمأخوذ من الابتعاد عن السلامة في أموره. وتوضع هذه العدول ونحوها، ويتسع أكبرها لحوالي خمسين صاعاً، على ظهور الحمير، وتحمل للمنازل أو

أماكن التخزين. ويكون في المنزل عـادةً غرفة مخصصة لتخزين الحبوب، حيث يوضع الحب على الأرض مباشرة. وتأخذ ربات البيت، عادة، كمية من القمح أو الشعير ويحمصـنه على النار ثم يطحنه ويحفظنه ليكون جاهزاً للأكل لمريض أو مسافر أو ضيف لأنه سريع التحضير ولا يحتاج إلى طبخ. فعند الحاجة إليه يؤخذ المقـدار المطلـوب ويعـجن بماء سـاخن ويضـاف إليه المـلح أو السـكر حسـب الرغبة، ثم يوضع عليه قليل من السمن بعد عـجنه ويقـدم للأكل؛ واسم هـذه الأكلة سهو. وبعض الناس يأكل طحين السهو من غير أن يعجنه، ولكنه في هذه الحالة يؤدي غالبـاً إلى الشرقة ومعروف أنّ شرقته حـادة لذا يقال «شرقة سهـو» وهو مثل يضرب لمن لا يكُف عن الكلام وينشب في الحلق ولا يقتنع بالرغم من الاعتذار إليه. وإذا كان الحب أنواعاً عدة فعـادةً تقسم هـذه الغرفة إلـى أحواض صغيرة (مينـاء) جدرانه قليلة الارتفاع، ويوضع كل نوع في حوض خاص. وفي بعض المنـاطق كنجران يذر فـوق الحب مقدار زنبيلين أو ثلاثة من التراب الناعم منعاً للتسوس. أما في عسير فيخلط الحب في الجرين بالتراب الناعم، قبل أن ينقل إلى مكان التخزين، ويقال لهذه العملية «يُتَيَّس الحب» أي يخلط بالتراب. ومكان التخزين في عسير، برج مستقل عن المنزل شكله أسطواني، قد يـتكون من دورين أو أكثر، ويوضع فيه الحب على الأرض مباشرة. وفي مناطق أخرى كالباحة وبني مالك، تخزن الحبوب في أوعية أسطوانية الشكل مصنوعة من الخوص، تسمى قُفَّه أو قُفْعَه تصل سعة إحداها إلى خمسمائة كيلوجرام، ولا يخلط الحب مع التراب أبداً.

وبعد أن ينـتهي المزارع من تصـفية الحب وتخـزينه، ينصـرف لجمع التبن وحمله إلـى أماكن تخزين خاصـة به، تكون عادة في الجزء الأسفل من المنزل، إذا كان المنزل مـكوناً من أكثر مـن دور واحد، أو بإحدى غرفه المتطـرفة إذا لم يكن كـذلك. والتبن موازنة بـالحب لا قيمة تذكر له إذ لا يعدو أن يكون علفاً ولذلك قالـوا كناية عن خسران مـا فيه الخير «مـا فاتك من الـزرع إلا السبل» وقالوا في الشتم أو الدعاء عليه «تبن في وجهه» أو «تبن في وجه العدو» يقال في الدعاء على الشخص بعـد الغُنْم، شأن من فاته الحصول عـلى القمح المرغوب فيه، ولم يجد من الزرع إلا التبن الذي يطير في وجهه ويؤذيه. ولذلك لا أهمية لمفاتيح حرزه؛ قالوا في المثل الشعبي «ما

عنده إلا مفاتيح التبن» التبن أرخص الأشياء، ومفتاح دار التبن هو مفتاح أهون مخزن، ويعني المثل أن هذا الإنسان لا يملك من الأمر شيئاً، وليس له حق الإيراد أو الإصدار. والتبن هي الكلمة الشائعة في مختلف مناطق المملكة، للدلالة على ما تبقى من سيقان وأوراق القمح أو الشعير بعد دياستها وتصفية الحب، ولكنه يعرف بأسماء أخرى في بعض المناطق فيطلق عليه في عسير مثلاً الحَثْي، وفي الباحة وبني مالك الرُفَّه والعَلَفْ. ويأخذ المزارع من هذا التبن بقدر الحاجة لتعليف حيواناته، خاصة حيوانات السواني، حيث يخلط التبن مع البرسيم (القت) أو الشعير أو الأعشاب البرية أو الخَبَط وهو ورق الطلح. ولكثرة استخدام التبن علفاً قالوا «تبِنك ياعَوفَه ومويهِكِ البارد»، عوفه: اسم يطلقونه على البقرة. والمعنى الزمي تبنك وماءك البارد يا أيتها البقرة؛ ويضرب لمن حاول أن ينال منالاً ليس في استطاعته.

دق الحب وتنقيته وطحنه. تُستخدم في هذه العمليات مجموعة من الأدوات منها: الكابُون أو الميجمة؛ وهو قطعة خشبية أسطوانية الشكل يخرق وسطها ويوضع فيها عصاً قوية (نْصَاب) ولا يستفاد من الكابون قبل خرقه؛ ولذلك يقال عن الشخص البليد «كابون ما خرق» كناية عن أنه بلا فائدة. والكابون أداة شائعة بهذا الاسم في مختلف المناطق، أما في عسير فيطلق عليه المِدمّه يستخدم في الأساس لدق وتفتيت سنابل القمح التي لم تنفرط أثناء الدياس. كما يستخدم لدق أشياء أخرى كالعرفج والحشائش والشجيرات البرية قبل أن تخلط مع البرسيم وتقدم للحيوانات. وكذلك لدق نوى التمر بعد تربيصه وطبخه، قبل تقديمه علفاً للحيوانات. أما في منطقة حائل، فيدق نوى التمر بحجر كروي ملء قبضة الكف يسمى مدقاقة الفصم وتسمى في نجد الفهر. ومن المستلزمات الأخرى لدق الفصم عروة من الليف تسمى وقاة أو كوّاره، توضع فوق الصخرة التي يدق عليها الفصم، ويوضع الفصم بداخل هذه العروة الدائرية التي قطرها حوالي عشرة سنتيمترات، وذلك حتى لا يتفرق أثناء رضِّه بالمدقاقة، بالإضافة إلى صخرة صلبة مفلطحة بالحجم المناسب للعملية تسمى مرضحه؛ ولذا يقال «فلان مثل رضاح العبس» الذي رضح العبس كله إلاّ واحدة فقط تركها لأنه تعب؛ ويضرب المثل لمن يعمل عملاً ويُبقى منه قدراً لا يكمله. ويستخدم الكابون لدق الأوتاد.

وقد ذكر ابن جنيدل في كتابه السانى والسانية أن هناك اختلافاً بين الكابون المستخدم في تفتيت السنابل والكابون المستخدم في دق الحبوب، من حيث نوع وصلابة الخشب المصنوعين منه؛ فالأول يصنع من الخشب الخفيف كخشب العُشَر، ليكون خفيفاً لا يكسّر الحب، ويصنع الثاني من شجر الطلح، أو الأثل ولذا فهو ثقيل صلب.

ويستخدم الكابون كثيراً بعد دياسة الأنواع القاسية من القمح، مثل الصماء، واللقيمي، إذ تتخلف، بعد الدياس، كمية كبيرة من السنابل التي لم تنفرط. ويعمد الفلاح، عادة، إلى تخزين هذه السنابل على حالها، خلافاً لأنواع القمح الأخرى، ليأخذ منها بقدر الحاجة. فيدق بالكابون وينقي (يُطيَّب) ثم يطحن أو يجرش. ودق السنابل بالكوابين عمل تقوم به النساء في الغالب، وقد يقوم به الرجال في بعض المناطق. ومن المألوف أن ثمّ مكاناً مخصصاً لدق السنابل، إما داخل المنازل، أو في قوع الدياسة، حيث تفرش في أحد أطرافه صفائح من الحجر مخصصة لهذا الغرض. (١٩٨٨: ١٢١).

الكابون

ومن تلك الأدوات المَرْدَع وهو شبيه بالكابون، ولكنه يختلف عنه شكلاً. فالمردع يتكون من صخرة من الجرانيت الصلب، أو ما شابهه، بحجم أكبر من الطوبة العادية. ويوضع في أعلى المردع مكان لمقبض من الخشب يوسر عليه بالقد، وله رأس واحد، ويستخدم لتكسير الأشياء الصلبة التي لا تكسر بالكابون، مثل دق خشب العرن الذي تدبغ به الجلود وما شابهه من الأشياء الصلبة

وهناك المِطْبَلة وهي عصا قوية مفلطحة الرأس، تستخدم في بعض المناطق، عوضاً عن الكابون لدق السنابل والسنوف المتبقية من الدياس. وعلى خلاف الدق بالكابون، يقوم الرجال، عادة، بهذا العمل. وتصنع المطبلة من أغصان أشجار الأثل أو الغرب أو الطلح، كما قد تصنع في مناطق أخرى من الخضر وهو جريد النخل الرطب، خاصة في المناطق التي تكثر فيها أشجار النخيل كنجران، وتعرف هناك باسم الغُلب،

وتسمَّـى في منطقـة الباحة المِخْـبَاط أو الجَدَله.

وهنـاك أيضاً المنـخل والغربـيل أو الغِرْبَال، وهما أداتان متشابهتان إلى حد كبير، تستخدمان مجتمعتين أو متفرقتين لتنقية الحبوب بعد دياستها وذريها، مما يكون قد خالطها من الحصى والحصباء والرمال والأعواد ونحوها. وتعرف عملية تنقية الحبوب بالمنخل، أو المنخل والغربال بتطييب الحب. ويتكّون المنخل والغربال من إطار خشبـي مدور خفيف وقوي، قد يقوى أحياناً بشريحة من القِدّ تطوى عليه بإحكام. ويغطى أسفله بشبكة دقيقة قد تصنع من جلود الـضأن والماعز، أو من شرائح عذوق النخل بعد تنقيعها بالمياه ودقها، وقـد استعيـض عن هذه المواد بشبكة مـن أسلاك الحديد، في العقود الأربعة الأخيرة. وأمّا صنع هذه الشبكة من القِدّ، فإن عملها يبدأ بقدِّ الجلد بعد أن ينظف من الصوف فيكون على شكل سيور دقيقة، تبرم بعد تنقيعها بالماء حتى تصبح خيـوطاً دقيقة وقوية، ثم تنـسج منهـا شبكة المنـخل أو الغربال حـسب المقـاس المطلوب، وتـشد على الإطـار وتثبت عـليه في ثقوب فيـه بسيور من القد مبرومة، تدخل فيها ثم تترك لتجف، فإذا جفت أصبح المنخل أو الغربال صالحاً للاستعمال. كما تعمل شبكة المنخل أو الغربيل من عـذوق النخل وتثبت على الإطار الخشبي بالطريقة نفسها.

وتوصف هذه الأداة بأنها منخل أو غربال، حسب سـعة ثقوب الشبكة أو ضيقـها. فالغربال شـبكته ذات ثقـوب كبيرة، أما المـنخل فشبكته ذات ثـقوب صغيـرة ومع ذلك فإن «الـشبكة تـعير المنخل» بأن ثقوبه واسعة تدخل منها أشعة الشمـس، وهو مثل يكـنى به عن من يعيب غيره بصفة هي أصدق عليه نفسه، والشبكة حبال مشبوكة تنقل بها الحشائش والأخشاب ويرد تفصيل ذكرها في مجلد الصناعات التقليدية. وأحياناً توجد أداة ثالثة تدعى المِحَص، تكون ثقوب شبكتها متوسطة بين الاثنين. ويبدأ، عادة، بتنقية الحب بالغربيل، حيث تتساقط عبر ثقوب شبكتـه جميع الحبوب وصغار الحـصى والرمال، وتُستبعد كبار الحصى والسنوف

أحجام مختلفة من المناخل

ونحوها. أما المِحَصّ والمنخل فيبقيان الحب وتتساقط من شبكتيهما صغار الحصى والرمال، ولذلك يستخدم المحص ثم المنخل لتصفية الحب تصفية شبه نهائية.

ومع أن الشائع في المنخل والغربيل والمحص، أن تأخذ شكلاً دائرياً، فإن بعض أنواع الغرابيل تكون مربعة أو مستطيلة، خاصة القديم منها.

أما المِنْسَفَه أو الطِّبق فهي أداة أخرى تستخدم لتنقية الحبوب تنقية نهائية، مما تبقى بها من القشور والتراب والأعواد الصغيرة وغيرها من الشوائب وقد ورد وصفها في مجلد الصناعات التقليدية. وتستخدم، عادة، قبل طحن الحب أو جرشه. والمنسفة أو الطبق كالصحن له حواف ترتفع عن قاعه بحوالي ٥سم، قد تكون قائمة تماماً، وقد تكون مائلة ميلاً يسيراً نحو الخارج. وتصنع المنسفة من الخوص السفيف، أو من الخوص وعراجين النخل (العذوق) حيث يلف الخوص الأبيض الناعم على شرائح من العذوق بعد تنقيعها بالماء (تربيصها) ودقها. وهي تحاك (تسف) بطريقة دائرية، وتزين، عادة، بنقوش من الخوص الملون. وبالإضافة إلى استخدام المنسفة أو الطبق لتنقية الحب، فإنها تستخدم أيضاً لتقديم التمر والرطب للضيوف، خاصة إذا كان عددهم كبيراً. ولهذه الأوعية في الباحة اسمان؛ فالوعاء الصغير الذي يقدم فيه التمر وما يشاكله يسمى مَقْدَمْ، أما الوعاء الكبير الذي تقدم فيه وجبات الإفطار من الأقراص والمرق والسمن فيسمى مَحْصَلْ، كما يصنع من سعف النخل في قطاع تهامة بالباحة وعاء رقيق دائري الشكل وله أطراف عمودية بحيث يكون عمقه ٢٠سم أما قطره فأقل من المتر ويسمى المنشره لأن الأسرة تعرّض الأشياء التي ترغب في جفافها فيه لأشعة الشمس.

ويذكر الخويطر أن الرَّحى هي الأداة الرئيسية المستخدمة قديماً لطحن الحبوب وجرشها؛ وهي فرشان متماثلان من الحجر الصلب الثقيل، ينحتان على شكل دائري بقطر ٥٠سم غالباً. ويهذب الفرشان بأدوات حديدية متنوعة. وتثبت القطعة السفلى منها في الأرض، كما يُثبت محور حديدي أو خشبي في مركزها يسمى القطب تدور حوله القطعة العليا. ويمر المحور بقطعة خشبية (بكرة) مثبتة بفتحة في منتصف القطعة العليا من الرحى، ومن خلالها يوضع الحب لطحنه، تسمى التُّبْرِقَه أو عين الرحى (١٤٠٩، ج١: ١٦٤). وتسمى قبضة

الحب التي توضع في عين الرحى اللهوة، من اللـهى. ويطحـن الحب بتحـريك القطعة العليـا من الرحى بشكل دائري حول المحور بيد الرحى، التي هي وتد من الخشب مـثبت بشكل رأسي قـرب محيط هذه القطعة الدائرية. وتُبنى قاعدة الرحى من الطين كما يبنى حوض دائري يكون عمـيقاً في أحد جوانـبه. أما ما يحيط بالرحـى فيكون أقل عمقاً، وله حافة تـرتفع حوالي ٣سـم، وفي هذا الحوض الـدائري يـهلّ الطـحين بـعد خروجه مـن بين حجريْ الـرحى، ثم يجمع ويهال في الجزء العميق حتى تنتهي العملية ثم يؤخذ الطحين كاملاً. وأحياناً توضع الرحى على سفرة من الخوص أو الجلد تـسمى الثفـال إن كانت صغيـرة الحجم، أو في الأحوال التي تـستدعي التنـقل الدائم كـما هو الحال بـالنسبـة للبادية. وفي بعـض الرحي يجعل في الفلقة العليا ثقبان غير نافذين يوضع في كل منهما عود تدار به الرحى حين يديرها اثنان وعود واحد حينما يديرها شخص واحد، ويسمى هذا العود الريد، وكثرة استعمال الرحى يجـعل داخل الفلقتين أملس ناعماً فتصعب إدارتها، فيعمد إلى نقشها وتخشينها. ويـنهال الدقيق على شكل شلالات دائرة من كل إطار الفلقة

رحى

السفلى ويـتلقاه نطع من الجلـد يوضع تحت الفلقة السفلى.

ويتم التحكم بنعومة الدقيق وخشونته بالقطب والبكرة (التبرقة) أو (المِنْخَاس)، التي تستخدم للتحكم في ميزانية الفلقة العليا من الرحى، من حيث رفعه وإنزاله؛ فعندما يرفع يخف ثقل الرحى وتجرش الحب جرشاً، وعندما ينزل تثقل الميزانية وتطحن الحبوب وتحولها إلى دقيق ناعم. وتحتـاج الرحى إلـى النقـش لتخـشين سطحهـا الداخلي بين حين وآخر. أما في الباحـة فالرحى تختلـف من حيث الهيكل فهي هناك يبنى لها عريش مربع ١,٥ متر بارتفاع متر إلى متر وعشرين سنتميتـراً بحيث تكون المرأة واقفة عند استعمال الرحى، وهذه الطريقة فيها إبداع هندسي، وغالباً ما تجمل الرحى بزخارف معينة تبعاً لذوق الأسرة المالكة لها.

والرحى من الأدوات المهمة جداً لدى المزارعين وغيرهم، حيث لا يستغني عنها أي منزل. والعمل على الرحى من الأعمال التي تختص بها النساء. ولما كانت المرأة تقضي الساعات الطوال لطحن الحب، خاصة عند إعداد وليمة أو تجهيز زاد المسافرين أو الحجاج، فإنها عادة ما تلجأ للغناء متجاوبة مع صوت الرحى. والغناء على الرحى فضلاً عن أنه نوع من التسلية والترويح عن النفس، ففيه كذلك تنفيس عن مشاعر الكبت بأنواعه العاطفي والاجتماعي، وما تعانيه المرأة من المشكلات الاجتماعية وما تريد أن تعبر عنه بطريقة غير مباشرة. ولما كان من الشائع في بعض القرى أن توضع رحى سبيلاً، أي حقاً مشاعاً يستخدمها كل من يحتاج إليها، فكثيراً ما تجتمع النساء حولها، ويغنين على صوتها بألحان تشبه الغناء على السواني. ومن المناسبات التي يكثر فيها الغناء إذا تقابلت امرأتان على الرحى، فتتجاذبان وتدها وترددان القصائد الطوال على صوتها؛ ومن هذه القصائد قصيدة محمد بن راشد الحمد التي من أبياتها:

أمس الضحى نطيت راس المذيريب
من طلعة البيضا لما قيل غابه
وانا على حسي عوى عاوي الذيب
والقلب ذاب ودمعة العين رابه
ياسعود قل لامك ترى جاك خطيب
يبغاه منى مار قولي هلا به

وقول الآخر:

نطيت بالمرقاب واوميت بالخمس
واقول يا واد الغضا وين خلي
كان امس مثل اليوم واليوم مثل امس
وان كان باكر مثلهن زاد غلي
خلي عقد لي عقدتين بلا لمس
وانا عقدت الثالثه ما تحلي

وكانت الأسر الكبيرة في الحجاز عموماً تستأجر عمالاً لطحن الحب؛ ويقال إن رجلاً وامرأته كانا يقومان بهذا العمل يوماً فلاحظ الرجل إهمال المرأة وعدم اهتمامها بتدقيق -تنعيم- الطحين فزجرها شعراً:

يا عايضه دقي طحين العرب لا تهرشينه
عماننا طيبين ياعايضه لا تفضحينا

وبالإضافة إلى الرحى الصغيرة التي توجد في معظم البيوت، يوجد هناك أيضاً نوع كبير من الرحى كانت تستخدمه الحكومة قبل ظهور مكائن الطحن الحديثة. ويسمى هذا النوع المدار وتديره الحيوانات، مثل البغال أو البقر. وأثناء دوران الحيوان يجلس رجل (عامل) فوق الغطاء العلوي للرحى ليضع الحبوب في خان الرحى. وينتج هذا النوع من الرَّحى كميات كبيرة من

دقيق البر، تتناسب مع الاحتياجات الضخمة للحكومة.

ولا تختلف المِجْرِشَة عن الرحى في شيء من هيئتها أو شكلها، غير أنها تستخدم في جرش قمح اللقيمي، ولذلك تكون طبقتاها من الداخل خشنتين، وضغط العليا على السفلى أقل من الرحى. وقد يستعاض عن المجرشة في معظم الأحوال، وتقوم الرحى مكانها في جرش القمح، ويتحكم في ذلك من خلال الميزانية (التبرقه). وفي الأحساء تصنع المجرشة من الطين لجرش الأرز الحساوي، ويخلط الطين، عادة، مع الرماد والتمر لصنع المجرشة.

ويستخدم المِهْرَاس (المهباش) لهرس بعض الحبوب الصلبة التي لا تنطحن مثل قمح اللقيمي وبعض أنواع الدخن. فهذه الأنواع يصعب طحنها بالوسائل المتوافرة في ذلك الوقت، ولذلك تهرس حتى تذهب قشرتها العليا ثم تطبخ بعد ذلك أو تجرش مرة أخرى. ومن الحبوب الأخرى التي تحتاج إلى هرس (هبش) الأرز الحساوي الأحمر، ونوع من الأرز العراقي المعروف بالتِّمَّن، وكان يستورد في بعض المناطق، خاصة المناطق الشمالية. فهذان النوعان من الأرز يتصفان بوجود قشرة تغلف الحبة، ولذلك يهرسان للتخلص من القشور، ثم ينقيان ويصفيان تمهيداً لطبخهما. وبالإضافة إلى ذلك يستخدم المهراس في دق أو هرس احتياجات المنزل الأخرى.

والأداة التي يهرس بها، تدعى المهراس، كما تدعى المِهْبَاش والمَيْخَف وهي خشبة غليظة بطول المتر تقريباً، تختار من أخشاب الأثل أو الطلح أو ما شابههما -أو من جذوع النخيل كما هو الحال في الأحساء- وتحفر من أعلاها بعمق حوالي ٥٠سم، فيصبح هذا الجزء على شكل قمع مفتوح توضع فيه الحبوب المراد هرسها. وتهرس هذه الحبوب بعد ترطيبها بالماء، لتسهيل عملية الهرس، بعصا (يد) المهراس، التي يصل طولها حوالي متر ونصف المتر وقطرها حوالي ١٠سم. وقد يكون للمهراس عصوان بدلاً من واحدة. وفي هذه الحالة تتقابل امرأتان عند الهرس، تمسك كل منهما بإحدى العصوين، وتسمى في الأحساء موجنة، وتتناوبان الهرس. فإذا أهوت إحداهما بالعصا (أوردت)، رفعت الأخرى عصاها، وهكذا حتى تهرس كمية الحب الموجودة في المهراس، فتفَّرغ وتوضع كمية أخرى. ويستمر العمل على هذا المنوال حتى تنتهي المرأتان من هرس الكمية المطلوبة.

وكما هو الحال في الطحن على الرحى يحلو الغناء على المهراس -على لحن السامري- خاصة إذا تقابلت عليه امرأتان؛ كما أشار أحد الشعراء بقوله:

طرابة الدنيا معاميل وفراش
وصينية يركض بها مثل مسعود
وبيضٍ تعاطن اللحن فوق مهباش
واحلو بين كفوفهن قاسي العود

ومن نماذج ما ترددده النساء في هذه المناسبة قول الشاعر:

يابن سالم ترى قلبي عليكم حزين
والسبب صاحبي زعلٍ ولا ارضيت اناه
صاحبي ينقش الحنا بكف حسين
مثل نقش المطوع بالقلم والدواه

أما المِيْجَمَه فهي مثل المهباش (المهراس) في الشكل والاستعمال، ولكنها تصنع من جذع النخلة، ويحفر وسطها وتدق وتهرس به الحبوب خاصة الأرز وحب الهريس. ويكثر استخدام هذا النوع في المناطق التي تكثر فيها أشجار النخيل كالأحساء والقطيف، ويسمى هذا النوع في الأحساء الميجمة الأنثى، في حين يطلق على ما يصنع من الخشب الميجمة الذكر، وهي المهراس أو المهباش المعروف في المناطق الأخرى.

والمِنْحَاز، وهو إناء منحوت من الحجر، يستخدم كالمهراس والميجمة في

المنحاز

هرس الحبوب بعصا خشبية (مدق)، تصنع من شجر الأثل أو الطلح ونحوهما.

ومن الأدوات التي تستخدم لطحن الحب وعجنه في المناطق الجنوبية الغربية المِدْلاَق حيث ينقع الحب في الماء ثم يدلك بالمدلاق أو المدلاك ليتحول إلى عجينة وتستخدم (المسحنة) أيضاً.

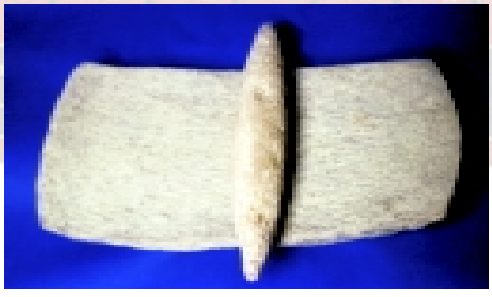

المسحقه (المرهكة)

الذرة

يبدأ موسم زراعة الحبوب الصيفية، بعد انتهاء موسم الزراعة الشتوية، عند طلوع نجم الثريا، وهو أول نجوم الصيف (القيظ)، ويوافق اليوم الثامن من شهر يوليو. ويستمر موسم بذرها حتى طلوع نجم الشعرى (المرزم) ويوافق ٣٠ من شهر يوليو. ويمتد الموسم في المناطق الشمالية، حتى طلوع نجم سهيل الموافق ٢٥ أغسطس، ولكن المزارعين في هذه المناطق لا يبدأون، عادة، في زراعة هذه المحاصيل قبل طلوع المرزم. بل يبدأون بزراعة الدخن غالباً بأنواعه المختلفة، ويلي ذلك زراعة الذرة؛ ومن الطريف تندر شاعر بقوم يمتدحون الدخن ويعدونه شيئاً نفيساً:

ما كنت أحسب أن الدخن فاكهة

حتى مررت على أرض ابن عمار

للذرة نوعان رئيسيان، هما الذرة الصفراء والذرة البيضاء أو الحمراء، وتعرف الصفراء بالذرة الحبشية، وهي ذات عذوق طويلة مكتنزة وملتبدة، ولذا كان يطلق عليها في بعض المناطق اللبدا أما في الحجاز فيسمى كوز الذرة الحبش وتسمى هذه الذرة في نجد ذرة عبيد. أما الذرة البيضاء فذات عذوق متفرعة عند النضوج وشعاع كثيف، ولذا تعرف محلياً في بعض المناطق باسم الشعشاعه. وتعد الذرة بكلا نوعيها من المحاصيل المهمة التي تزرع على نطاق واسع في مختلف مناطق المملكة، إذ إنها تزرع أساساً كغذاء للإنسان، حيث تُعمل منها أكلات شعبية رئيسية أهمها العصيد والهبيشي أما العصيدة فهي من ألذ الأطعمة، ولعل المثل الشعبي يكشف شيئاً من ذلك؛ قالوا «جوعان طاح بعصيده» جوعان أي جائع، طاح: عثر على الشيء فجأة. ومعناه كالجائع الذي وجد عصيدة مواتية للأكل دون مشقة؛ يضرب لمن وقع في خير هو في حاجة إليه. ولأن العصيدة ليست من طعام البادية، فإذا وجدها البدوي انجذب إليها لشدة اشتهائه لها، فكان حاله كمن سقط في بئر عميقة وعجز عن الخروج منها. والطيحة تعني السقوط فجأة ودون قصد؛ ولذلك قالوا «العصيدة عند الفقرا طريفه» أي أن العصيدة عند الفقراء كاللحم. يضرب المثل لنفاسة الشيء، ولو كان رديئاً، عند المحتاجين له. يعمل الهبيشي من الدقسة والحضية أي الدخن، التي تعد من أهم الأكلات التي يقبل عليها الناس في فصل الشتاء.

الذرة مهمة لكل مزارع، في مختلف المناطق، وهي أهم في تلك المناطق، التي لا تساعد ظروفها المناخية على زراعة

الحبوب الشتوية كالقمح والشعير، وهي مناطق تهامة، حيث تعدّ الذرة والدخن الغذاء الرئيسي للسكان فيها. كما أن للذرة أهمية كبيرة في المناطق التي يزرع فيها القمح، اعتماداً على مياه الأمطار المتذبذبة كما هو الحال في جبال الحجاز من الطائف حتى نجران، خاصة أن نسبة كبيرة من الأمطار في هذه المناطق تهطل خلال الصيف والخريف. وتتعدد الأكلات المصنوعة من الذرة في هذه المناطق، حيث تؤكل الذرة مطبوخة (طبيخة) وتؤكل محمصة (قَلِيَّة)، ويعمل منها بعد طحنها العديد من الأكلات مثل العصيده والجريشه والفريكه والعريكه والقرصان والمثريه؛ ولذلك هناك العديد من الأمثال، التي تبين هذه الأهمية؛ ومنها قولهم «لا بيت إلا مَرَة ولا زرع إلا ذُرة» أي أن ضرورة زراعة الذرة كضرورة وجود المرأة في البيت. والذرة لا تسمى في الباحة قلية وإنما تسمى حميصه؛ أما القلية فإنها من حبوب البر وتوضع في مقلاة بدون إضافات حتى تحمرّ، وتجمع أيضاً عند حصاد البر السنبلات وهي ما تزال في قصباتها وتحزم على شكل كتلة صغيرة ثم تعرض للهب النار حتى تنضج فتفرك باليد ويستخلص الحب ويؤكل وهذه تسمى الحنكيته.

نوع من الذرة

ومن ناحية أخرى، فالذرة بكلا نوعيها، تعد علفاً جيداً للحيوانات، سواء خلال فترة نموها، أو بعد حصادها وجفافها. والذرة إذا توفرت المياه، ذات إنتاج وفير في حبوبها وأعلافها، ولذلك فلا غرابة إن زُرعت على نطاق واسع في مختلف المناطق.

والواقع أن المراحل التي تمر بها زراعة الذرة لا تختلف عن تلك المراحل المتبعة في زراعة القمح والشعير، من تنظيف الأرض من الأحجار والأشجار والرمال

ونقل السماد وتوزيعه، وريها الرية الأولى وحراثة الأرض بعد ذلك.

وفي مناطق الجنوب تروى الأرض هذه الرية، إذا لم تسقط الأمطار، وتحرث قبل موسم البذر بحوالي ثلاثة أسابيع، ثم تمسح وتترك للراحة. ويطلق على هذه العملية ترييح الأرض، كما يطلق عليها رَدْم الأرض؛ فيقال «ردم الأرض استعداداً لزراعة الذرة». ومن المعروف أن عملية إراحة الأرض (ردمها) من الخطوات المهمة، خاصة إذا كانت الأرض قد زرعت قمحاً أو شعيراً خلال موسم الشتاء، كما يحدثُ في بعض المناطق ذات الحيازات الضيقة كبعض مناطق جبل السراة. يلي ذلك عملية تهيئة البذور وإعدادها للزراعة، وهي مشابهة لمثيلتها بالنسبة للقمح والشعير، سواء بوضع الحبوب في المياه للتخلص من البذور الفاسدة، أو لجعلها لينة حتى تنمو سريعاً بعد وضعها في الأرض. ويختلف أسلوب إعداد البذور وتهيئتها، وكذلك طريقة نثرها وحراثة الأرض حسب اختلاف التربة من بلد لآخر، ومن منطقة لأخرى.

ويردد العاملون عند بذر الذرة وحراثة الأرض، كما هو الحال في باقي العمليات الزراعية الأخرى، العديد من الأهازيج؛ ومن أمثلة ذلك ما يردده المزارعون في تهامة بهذه المناسبة، نظراً لما للمحصول من أهمية كبيرة في تلك المنطقة، مثل قولهم «اللهم اجعله لنا ولمن شَبره وللطير والفيرة» من شبره أي من طلب العون منه؛ والفيرة جمع فأر؛ كما يرددون على سبيل المثال عند العمل في الحراثة:

يـــالله عـــلـــى بـــابـــك
مـــا خـــاب طـــلابـــك

وقولهم:

واغبوني ما دام بدع التماثيل
عـــلـــى الـــرجـــاجـــيـــل
الـــلـــي راحـــو مـــقـــاتـــيـــل
واللي توفاه القدر وجه بيته
كما تغبان المخلط على السيل
فـــي قـــبـــلـــة الـــلـــيـــل
ما يشرب مالكها ليل
ما يشرب إلا ما الخرق والنحيته

المخلط: اسم أحد المزارعين، والخرق: هي الأودية الصغيرة، أما النحيتة فتعني الآبار.

ولما للثيران من أهمية كبيرة، فإن بعض هذه الأهازيج يطنب في الثناء عليها، ومنها قولهم:

وثيران وادي الضمو غال فيها
وثيران سبه وثيران محلا
وثيران دو محدودبات الظهوري

الضمو وسُبَّه من أودية تهامة المشهورة بجودة أبقارها.

ويقوم مزارع الذرة بعدد من العمليات الزراعية، خدمة لمحصوله، يتفاوت عددها وأهميتها من منطقة لأخرى، تشمل سقي الزرع وحمايته من الطير. وتحتاج الذرة، عادة، إلى ما بين خمس إلى سبع ريات خلال فترة الزرع، وقد تزيد أكثر من ذلك في حال التربة الرملية أو ذات الحرارة العالية. ويطلق على الرية الأولى في معظم المناطق الختام، لأنها تتزامن مع نهاية أعمال البذر والحرث وتسوية الأرض وتقسيمها إلى أحواض، كما تسمى الرية الأخيرة بالوداع. وتختلف هذه التسميات في بعض المناطق، ففي عسير مثلاً، يطلق على الرية الأولى الإهلاله وعلى الأخيرة الغذا، وفي نجران يطلق على الرية الأولى تنفيلْ بينما يطلق على الأخيرة الوداع.

وتنفرد منطقة نجران بعملية خاصة، غير موجودة في المناطق الأخرى، وهي عملية تقسيم الأرض إلى أحواض بعد أن تنبت الذرة ويصل طولها إلى حوالي ٣٠سم، أما في المناطق الأخرى فتقسم الأرض إلى أحواض بعد البذر بيومين أو ثلاثة. وفي عسير يعتقد المزارعون أن جذور الذرة في الأسبوعين الأولين تتعرض للتآكل إذا لم تسق خلال تلك الفترة، لذلك يسرعون بالرية الأولى بعد الإنبات. ويعتقدون أنهم بعملهم هذا يقضون على الدودة التي تأكل الجذور، وتسمى هذه الرية التطفية؛ فيقال «فلان يطفي الذرة» أي يرويها أو يسقيها خلال هذه الفترة. ويعقب ذلك عملية التخفيف من كثافة الزرع، حتى يكون إنتاجه جيداً، خاصة بعد أسبوعين من الإنبات، وتسمى هذه العملية في مناطق الطائف وبني مالك والباحة التزعير وفي نجران نتافه وفي عسير وجازان والقنفذة تنقيص الذرة. ولمعالجة البُقع التي تظهر على الزرع فإن المزارع يعاود من جديد وضع بعض البذور خلال عملية التزعير، أو التقليل منها بدفنها بيده أو بمسحاة صغيرة، إذا كانت البقع قليلة. أما إذا كانت البقع كثيرة ومنتشرة، فإن المزارع يعاود حرثها من جديد وبذرها، عندما تسقط الأمطار خلال الأيام الثلاثة الأولى من البذر، وتسمى هذه العملية في عسير وجنوب الطائف والباحة النكيثة، وفي جازان والقنفذة والليث وغيرها من مناطق تهامة المعاودة، كما تسمى في نجد الترقيع، وهي عكس عملية بذر القمح، إذ إن بذور الذرة توضع على عمق أكبر من بذور القمح.

كما نجد في منطقة نجران عملية تسمى الشَرْيَعة وتسمى في الباحة التخشير، (مفرده خشره وجمعه خشير). وهي تختص بتخفيف أوراق الذرة بعد ظهور السنابل، بقصد تخفيف الحمل على الساق حتى لا يتمايل ويسقط على الأرض. ولعل السبب في ذلك وفرة المياه التي تتسبب في زيادة عدد الأوراق، فثقل وزن أعواد الذرة نتيجة لما تحمله من مياه. وربما ساعد قص الورق على توجيه الماء إلى الحبوب. وزراعة الذرة البعلية أقل حاجة للخدمة من القمح البعلي بسبب عدم نمو الحشائش الطفيلية حولها.

وتبدأ حماية المحصول من أسراب الطيور، خاصة العصافير والقوبع، بعد ظهور سنابل الذرة. وهي العملية المشابهة لمثيلتها في حماية محصول القمح والمعروفة بالنهامة أو حامي الزرع (المندد أو الشارح). ويتخذ حماة الزرع عريشاً عالياً ليكشف لهم قدوم أسراب الطير، وهم يعتلون سطح هذا العريش الذي يسمى في بعض قرى الباحة السهوة إذ لو بقي الحامي على الأرض فإنه لن يرى الطيور نظراً لارتفاع قصب الذرة. وتعد عملية (التحزيم) آخر العمليات قبل الحصاد، بمعنى تربيط الذرة، بحزم كل ما بين عشرين وثلاثين قصبة بعضها مع بعض، حتى تأخذ هذه الحزم خطوطاً مستقيمة من أي اتجاه. ويكون ذلك عادة قبل الحصاد بثلاثة أو أربعة أسابيع، للحفاظ على سيقان الذرة من الميل أو السقوط على الأرض.

وتحصد الذرة بطريقتين مختلفتين، ففي المنطقة الممتدة من الطائف حتى شمال عسير، يفصل المزارعون العذوق عن أعواد الذرة وهي لا تزال قائمة (تسمى غلة الذرة والدخن قبل الحصاد عذوقْ)، حيث يثنى رأس ساق الذرة إلى أسفل مع قطف العذوق باليد أو قطعها بأداة كالمحش أو الشريم، وتسمى هذه العملية الصرام؛ قال الشاعر:

يادخن دوقه
يامدلي عروقه
بخت الفقير
والغني ما يذوقه

والطريقة الثانية تشبه مثيلتها المتبعة في حصاد القمح، وهي الشائعة في معظم مناطق المملكة. وخلال حصاد الذرة يردد الحاصدون العديد من الأهازيج المماثلة عند حصاد القمح والشعير، كما هو متبع في المناطق المختلفة من المملكة؛ ومن أمثلتها قولهم:

القصب ماله ضلوع
اركبه حد يلوع

لا يروعك يالخروع
يالخروع ابن الخروع

الخروع من الرجال: الجبان شديد الخوف؛ ومنها قولهم:

يا ودنة الخير جانا الليل ما رحنا
والله يجيب الذره بعد العسيريه

والعسيرية: نوع من أنواع الحنطة الفاخرة؛ ومن ذلك قول الشاعر:

سلام ياصرام سد الحويه
تدارجوا والا لكل شطيه

ومن نماذج هذه الأهازيج قولهم:

محشي قطع يديه
يلعن بو حداده

ومن ذلك قولهم:

ما عاد إلا شويه
ونكشف المغطى
ياتمر من برنيه
على السعف توطا

ومنها قولهم:

الحول ورد والداني ورد
ما يلحقه إلا الصرد

والحول هو ما يكون أمام العامل من زراعة، بحيث يتقاسم الذين يصرمون الحصيلة فيما بينهم، ونصيب كل منهم يسمى حُولْ. والصَرد، بفتح الصاد، هو الهواء البارد. وبما أن الذرة زرع طويل القصب، فقد يختبئ فيها من يهاجم أصحاب المزرعة، وقد يكمن فيها المدافعون للانتقام من المهاجمين ومن هذا المفهوم تولد المثل القائل «ما بالذره أحد» و«الغشيم يدخلك الذره» وقولهم «دخل الذره» كناية عن الخوف.

أما دق الذرة وتصفية الحبوب وتخزينها، فتأتي مباشرة بعد نقل سنابل الذرة إلى القوع (الجرين)، حيث تنشر هناك وتظل فترة حتى تجف تماماً، ثم تبدأ عملية فرط العذوق وفصل الحبوب. وتختلف الذرة عن القمح في هذه العملية، فلا تُداس الحبوب إلا على نطاق ضيق جداً، وذلك عندما يكون المحصول كثيراً. والطريقة الشائعة في مختلف مناطق المملكة لفصل حبوب الذرة عن العذوق هي دق العذوق أو ضربها، حتى تنفرط حبوبها. ويستخدم في ضرب الذرة إما عسبان النخيل الخضراء التي تعرف بالعراجين، أو أعواد وعصي غليظة يطلق عليها في نجد المقاصل، في حين تعرف في عسير باسم المخباط، وفي نجران باسم الغُلب، وفي تهامة باسم البسه. وتتم عملية ضرب الذرة أو دقها (التخبيط)، في مكان صلب سواء في القوع نفسه أو حتى في داخل المنازل، حيث تقسم عذوق الذرة على قدر المشتركين، ويبدأ كلٌ منهم بخبط نصيبه حتى تنفصل

بقايا الذرة بعد حصادها

الحبوب. وقد يتقابل اثنان على كمية من عذوق الذرة يتناولان خبطها. ويفضل استخدام الأبقار والثيران في دياسة الذرة، لأن حوافرها أقدر على تفتيت العذوق من الحيوانات الأخرى.

تُذرى بعد ذلك الحبوب، كما يذرى القمح. وبعد تصفية الحبوب وقبل أن تنقل إلى أماكن التخزين يبدأ المزارع بإعطاء كل ذي حق حقه؛ الزكاة أولاً، ثم حقوق العاملين في المزرعة، ثم يسدد ما عليه من دين، ويعطي المحتاجين والفقراء (المتشكده) كما يعرفون في عسير والباحة، و(المحتضره) في جازان والقنفذة والساحل الغربي.

وفي الباحة عندما يحين صرام المحصول ذرة كان أو قمحاً، فإن الفقراء يطوفون على المزارع أثناء الحصاد ليعطوا من الثمار من باب الصدقة وتسمى الهبة فريكه، ومعناها لكي يقطفوا سنابلها ويفركوها بأيديهم ويتناولوها لأنها قليلة ولا يمكن أن تعتبر غذاء، لكن عندما تتجمع -فيما بعد- تشكل محصولاً، وأثناء تصفية الحب عند الدياس يحضر الأولاد لكي ينالوا نصيباً فيعطي الفلاح حفنة لكل واحد، وهذه تسمى الكُسابه وكل ذلك يقدم بطيب خاطر ولا يدخل في مفهوم الزكاة الشرعية لأنه خارج عنها.

وتشبه طريقة تخزين الذرة مثيلتها طريقة تخزين القمح، باستثناء جازان والقنفذة وتهامة، حيث تخزن الذرة في حفرة بعمق ثلاثة أمتار وتُغطى بالبغه، وهي البقايا الناعمة المتخلفة عن خبط الذرة وتصفيتها، ثم يهال عليها التراب. وتظل لمدة ستة أشهر قبل أن تنقل إلى إحدى غرف المنزل.

وتعد عملية تجميع قصب الذرة وتخزينه من العمليات المهمة نظراً لاستخدامها علفاً للحيوانات في مختلف

المناطق، حيث يطلق على هذه العملية القنا في الطائف والباحة، والعُجور في عسير. والشائع في مختلف المناطق، بوجه عام، ترك القصب بعد صرامه لمدة أسبوع أو أسبوعين، حتى يجف تماماً ثم ينقل إلى أماكن تخزين العلف. وفي المناطق الجنوبية الغربية التي تزرع فيها الذرة على نطاق واسع يقوم المزارع بتكويم الفائض في مكان مرتفع قريب من الأرض الزراعية أو المنزل، ويُصَف القصب في هذا الكوم بطريقة واحدة، بحيث توضع أسافل القصب على الأرض ورؤوسه إلى أعلى، ويكون مائلاً قليلاً ليسمح بتسرب مياه المطر على الجوانب دون الدخول إلى وسطه. وتدعى هذه الطريقة العوم في الطائف والباحة، والمزاوم أو الصومعة في نجران، والمرماد في القنفذة.

الدخن

عرف المزارعون في هذه البلاد أنواعاً متعددة من الدخن، كان يزرع أساساً للاستفادة من حبوبه غذاء، وفي بعض المناطق علفاً للحيوان. ومن أهم أنواعه الدخن العادي، والمليساء أو الحصنية، والتكسية أو الدقسة، والأخير هو النوع الجيد من الدخن في المناطق الوسطى. وهو ذو قصب طويل يصل إلى مترين، وسنابله مستطيلة تتراوح بين ١٠سم-٣٠سم، وتخرج من الساق الواحدة مجموعة من العذوق في القصبة الرئيسية وفروعها، ويمكن أن تقطف العذوق أكثر من قطفة على فترات متتالية. ولذا فهذا النوع كثيف قياساً بالأنواع الأخرى. أما النوع الذي يسمى المليساء أو الحصنية فذو قصب قصير يتراوح بين ٥٠سم-٨٠سم، وعذوقه متوسطة الطول (١٠-١٥سم). وتخرج من الشجرة عذوق قليلة لفترة واحدة فقط. أما الدخن العادي فله قصب قصير، لا يزيد في الغالب عن ٦٠سم، وعذوقه قصيرة أيضاً (٥-١٠سم)، وهي ذات خصل متراصة مملوءة بالحب. ويخرج من الساق عدد من العذوق لفترة واحدة فقط. ويعرف الدخن في منطقة القصيم وسدير باسم الشاميه.

تتفاوت أهمية الدخن كغذاء للإنسان، تبعاً لاختلاف المناطق. ففي المناطق الوسطى والشرقية والشمالية تقل أهميته، ولا يقارن مطلقاً بالقمح والذرة، إذ غالباً ما يستخدم علفاً للحيوانات. وطرق زراعة الدخن بدءاً من البذر وحتى الحصاد لا تختلف كثيراً عن زراعة الذرة، إلا أنّ النوع المخصص علفاً للحيوان،

لا يزرع، عادة، في أحواض خاصة بل يزرع في أحواض النخيل، وعلى السواقي الرئيسية في المزرعة.

والواقع أن زراعة الدخن لها أهمية كبيرة جداً في تهامة بشكل عام، وهو بذلك يضاهي الذرة من حيث الأهمية، بل قد يزيد عليها في معظم الأحوال. ولذلك فإن حديثنا عن زراعته وحصاده سيتعلق بتهامة بشكل عام نظراً لأهميته من جهة، ولانفرادها ببعض العمليات التي لا توجد في غيرها من المناطق من جهة أخرى.

وزراعة الدخن في تهامة زراعة بعلية تعتمد على المطر. فالمزارع يظل ينتظر هطول الأمطار قبل أن يشرع في وضع البذور في الأرض، حيث يبدأ بالبذر بعد سقوط الأمطار بأربعة أيام إلى أسبوع. ويشترك في زراعته مجموعة من المزارعين يتعاونون في ذلك دون استخدام المحراث، إلا في مناطق قليلة كتلك القريبة من الجبال.

تستخدم في بذر الدخن عصا يبلغ طولها مترين تقريباً، وفي أحد طرفيها أداة حادة مذببة تسمى المغراس في القنفذة والمُنْدلُ في جازان وما جاورها. وتتم عملية البذر بأن يصطف العاملون وهم الغرّاسة في صف واحد في أحد جوانب الأرض الزراعية، بحيث يكون بين كل غرّاسٍ وآخر مسافة ٥٠سم تقريباً، ويحملُ كل عامل منهم كمية من البذور في حِجرْه، حاملاً أداته في يده يضرب برأسها الحاد الأرض لحفر حفرة ويضع فيها عدداً من الحبوب (حوالي ٥٠حبة). ثم يدفنها برجله ويترك مسافة حوالي ٣٠سم، ثم يحفر حفرة أخرى ويضع فيها كمية من البذور. ويستمر في ذلك حتى يصل إلى الطرف الآخر المراد زراعته، ليبدأ من جديد. وهكذا يكون الدخن بعد أن ينبت صفوفاً مستقيمة، تفصل بينها مساحات خالية من النبات.

أما الطريقة الأخرى لبذر الدخن، وتستخدم على نطاق ضيق في المناطق الشرقية القريبة من الجبال في تهامة، فيستخدم لها المحراث الذي تجره الثيران. ويشترك في العملية عاملان، أحدهما يمسك بالمحراث والآخر يمسك بحبوب الدخن ويضع كمية منها في خط الحرث على شكل مجموعات يباعد بينها بمسافة ٥٠سم تقريباً، كما يباعد بين كل خط من خطوط الحرث بالمسافة نفسها. ولا يمسح المزارع الأرض بعد الحرث أو يقسمها نظراً لاعتمادها على الري من الأمطار.

أما كيفية بذر الدخن في مناطق المملكة الأخرى، فلا تختلف عن طرق

بذر الذرة حيث تتبع طرق نشر البذور وحرث الأرض، أو الغرس عن طريق استخدام المحراث، أو التنقير كما هو الحال في سهول تهامة. ونقطة الاختلاف الرئيسية هنا، أن الأرض تحتاج إلى تسوية وتجزئة إلى أحواض لأنها تعتمد على الري من الآبار أو العيون. ويروى الدخن، عادة، لمدة ثلاثة أشهر، أما الأراضي المعتمدة على الأمطار، كما في سهول تهامة، فتعتمد جودة المحصول فيها على كمية الأمطار الساقطة. وينتج الدخن، عادة، كميات جيدة اعتماداً على الرية الأولى السابقة للبذر، خاصة إذا كانت الأمطار غزيرة والتربة مرتوية بالمياه.

ومن عمليات خدمة محصول الدخن، كما هو الحال في الذرة والحبوب الأخرى، تنظيف الأرض بعد الإنبات من الحشائش والنباتات المرغوب عنها التي تنمو بين صفوف المحصول. ويفعل هذا، عادة، بعد أسبوعين إلى شهر من إنبات حبوب الدخن، سواء بحرث الأجزاء المفتوحة بين الصفوف بالمحراث، أو بتقليع هذه النباتات بالمسحاة أو المغراب. ويفعل هذا، عادة، العمال أنفسهم الذين تولوا بذر المحصول، ما لم يكن المحصول قليلاً حيث يكتفي المزارع في هذه الحال بأفراد أسرته للقيام بهذا العمل.

وبعد أن يكتمل نمو الدخن وتنضج حبوبه تبدأ حماية المحصول من الطير أي النهامه. ومن الملاحظ أن المزارعين في تهامة لا يحمون محصولهم من الدخن كحرصهم على محصول الذرة، لأن الإنتاج عادة يكون كبيراً والأراضي التي يزرع فيها الدخن واسعة ومتفرقة ومن الصعب حمايتها جميعها. ولذلك تقتصر الحماية في معظم الأحيان على الأراضي القريبة من سكن المزارع.

ويحتاج حصاد محصول الدخن كبذره إلى عدد كبير من العاملين، سواء من المتعاونين من المزارعين أو من العمال الآخرين الذين يأخذون لقاء عملهم كميةً من المحصول. وتبعاً لطريقة بذار الدخن، سواء بوضع مجموعة من الحبوب في حفر متفرقة، أو وضع البذور على مسافات متباعدة خلف المحراث، تنمو نباتات الدخن على شكل مجموعات يطلق على كل منها رِزْوَه، وتشكل الرزوات خطوطاً مستقيمة متوازية. ولذلك فعند الحصاد، يبدأ كل عامل من بداية كل سطر (صَفّ) ويحصد الرزوات واحدة بعد الأخرى. ويحدد أجر العامل، عادة، تبعاً لعدد الرزوات التي قام بصرامها، كأن يأخذ رزوة من بين كل ست أو سبع رزوات.

ويحصد الدخن بفصل العذوق من أعلى الساق، الذي يسمى جِثْمْ، وتجمع عذوق كل رزوة على حدة وتربط في مجموعة تسمى جَنْبْ. وتترك سيقان الدخن قائمة، لأن العذوق تعاود الظهور مرة أخرى من المكان الذي قطع منه العذق الأول، ويقال في هذه الحالة «إن الدخن يُشْكر». ويستمر صرام الدخن مرة ثانية وثالثة ورابعة حسب كمية الرطوبة الموجودة في الأرض، وحسب رغبة المزارع في إبقاء السيقان؛ ويقال في هذه الحال «حصلنا على ثلاث أو أربع أو خمس صُوبّات للدخن في هذا الموسم».

وبعد أن تتم عملية الحصاد، تجمع عذوق الدخن، في مكان صلب ثم تنقل إلى الجرين (المجرن) لتجفيفها.

وبعد أن تنشر العذوق في الجرين لعدة أيام وتجف تماماً، تعامل بالطريقة نفسها المتبعة في فصل حبوب الذرة عن عذوقها، بأن تخبط (تدق)، ثم تذرى وتصفى وتخزن. أما إن زادت كمية المحصول، كما هو الحال في تهامة عندما يهطل مزيد من الأمطار، فقد يلجأ المزارع في هذه الحالة إلى دياسته بأسلوب دياسة القمح. وقد يلجأ بعض المزارعين إلى تخزين بعض محصولهم من الدخن على شكل عذوق، في غرف خاصة لتبقى

الدخن

مدة طويلة، قد تصل إلى بضع سنوات، دون أن يصيبها عطب وذلك تحسباً لسنوات الشدة، خاصة أن بعض أنواع الدخن يزداد جودة مع مرور الزمن. ويصنع من الدخن السويق وذلك بتحميصه وطحنه وخلطه بالسكر والهيل ونحوهما.

أما بالنسبة لسيقان الدخن، فمثلها مثل سيقان الذرة، تحصد وتخزن علفاً للحيوانات، ولكن أهميتها الغذائية للحيوانات ليست واحدة. ولذلك قد يكتفي بعض المزارعين خاصة في تهامة، حيث تكون حقول الدخن واسعة، بأن يجمعوا بعض هذه السيقان، ويخزنوها

إلى جانب الأعلاف الأخرى، أو يجمعوها في أماكن مرتفعة قرب المنازل وحظائر الحيوانات. أما غالبية السيقان، فتترك قائمة في المزرعة وتطلق عليها الأبقار والأغنام لترعاها. ونتيجة لذلك يبقى جزء كبير منها متساقطاً على الأرض، ويختلط بتربتها ويتحلل داخلها ليكسب التربة مادة عضوية مفيدة، ويزيد من خصوبة الأرض استعداداً لموسم الزراعة القادم.

الأرز

لم تعرف زراعة الأرز في المملكة، إلا في منطقتين رئيسيتين هما الأحساء والقطيف، وكان النوع المزروع هو الأرز الأحمر، الذي تشبه حبوبه حبوب القمح شبهاً قويّاً. وكان محصول الأرز في هاتين المنطقتين من المحاصيل الرئيسية، بل كان في الأحساء يسبق من حيث الأهمية الحبوب الأخرى ويلي أشجار النخيل في اهتمام الفلاح به. وكانت المناطق المزروعة بالأرز هي المناطق القريبة من الينابيع الرئيسية التي تحظى بنسبة كبيرة من مياه الري، لأن هذا المحصول يحتاج إلى غمره بالمياه معظم فترة الإنبات، التي تمتد لأكثر من خمسة أشهر. والأرز من الحبوب الصيفية التي لا تحتمل البرودة، ولذا يزرع، عادة، في بداية فصل الصيف (شهر يوليو)، ويحصد في نهاية نوفمبر.

وقد أخذت المناطق المزروعة بالأرز تتقلص تقلصاً شديداً، منذ تنفيذ مشروع الري والصرف، لأن هذا المشروع توخى توزيع المياه على المزارعين بالتساوي، فقلّت المياه الفائضة التي كانت تستخدم لزراعة الأرز قرب العيون الرئيسية. كما أن منافسة الأرز المستورد والتكاليف العالية للإنتاج، جعلت المزارعين في هذه المناطق يحجمون عن زراعته في السنين الأخيرة.

ويطلق على المناطق المزروعة بالأرز في الأحساء اسم الضواحي. وهي الأراضي الخالية من أشجار النخيل أو الفاكهة، حيث توجد هذه الأشجار على أطرافها وليس داخلها. وتحتاج زراعة الأرز إلى عناية خاصة بالتربة قبل وضع البذور، حيث تُقلّب وتخلط بالسماد البلدي وبأغصان الأشجار وسعف النخيل وجذوعها بعد حرقها، وهي ما تعرف بالطبينه. والطريقة الشائعة قديماً لبذر الأرز هي وضع البذور في الحقل مباشرة، حيث توضع كمية من البذور في حفر متجاورة على شكل خطوط مستقيمة. وهذه الطريقة أشبه بطريقة بذر الدخن في سهول تهامة. أما الطريقة الثانية المعتمدة على الشتل فمن المرجح أنها لم

تعرف قديماً، إلا في نطاق ضيق، ولكنْ أكثر المـزارعون من استـخدامها خـلال السنوات الخمسـين الأخيرة. وتتلخص هذه الطريـقة في بذر حبوب الأرز في مشاتل، وريها لمدة شـهرين تقريباً، ثم نقل الشـتلات إلى حقل الزراعـة الذي يكـون قد أعـد سلفـاً. وتوضـع هذه الشتلات، على شكل صفوف متوازية، تفـصل بين كل شـتلة وأخـرى مسافة بسيطـة. وبغض النظر عن طريـقة بذر الأرز، فإن من الأمور المهمة أن يستمر غمره بالميـاه، حتى اكتمال نمو السنابـل والحبوب ثم يقطع عنه الماء، مدة تتراوح بين ثلاثة وأربعة أسابيع حتى يجف.

الأرز

ويحصد الأرز بعدئذ كحصاد القمح بالمحش، كما يشبه القمح في العمليات التي تـعقب الحصاد، حيـث ينقل إلى منطقة صلبة بجوار القرية (القوع) لتدوسه الحمير، ثم يذرى ويصفى. كما يستفاد من تبنه في تغذية الحيوانات.

السمسم

تتركز زراعة السمسم بشكل أساسي في سهول تهامة. وكـانت زراعته قديماً منتشـرة بشكل جيد فـي هذه المناطق، ولكنـه لا يقارن بدرجة انتـشار الدخن والذرة ولا بالمسـاحات المزروعة بهما. وحتـى في هـذه المناطـق، فإن زراعـة السـمسم تقـتصر علـى الأراضي ذات التربات الطينـية الجيدة، التي تقع على ضفـاف الأودية، أو التـربات الطـينيـة المختلطـة بالرمل التي تـعرف بالتربات (الخِرشْه).

والسمسم من النباتات الصيفية التي تتأثر بالبرودة، ولذا تبدأ زراعته، عادة، في نهاية فصل الصيـف (برج الأسد)، وتستمر حتى منـتصف فصل الخريف. فإذا هطـلت أمطار خلال هذه الـفترة، تركـت الأرض لمدة أسبـوع، ثم شرع المزارعون بحرثهـا ومسحها ثم بذرها. أما إذا هطلـت الأمطار في فترة مبكـرة

على موسم البذر، فإن الأرض تحرث وتمسح، ولكن لا يشرع في البذر إلا مع دخول موسمه. ويبذر السمسم بنثره على الأرض مباشرة، مثل القمح تماماً ويقولون في جازان «يسفح السمسم»، وفي القنفذة «ينشح السمسم» أي ينثره على الأرض. ونظراً لصغر حجم حبيبات السمسم، تخلط البذور بقليل من الرمال حتى لا تتراكم البذور في بعض المواقع دون بعض، خاصة إن لم يكن المزارع ماهراً في هذه العملية. ويخلط مع بذور السمسم أيضاً قليل من بذور الذرة لاستخدام قصبها فيما بعد لتربيط السمسم عند الحصاد.

وبعد أن تبذر الأرض، تحرث ثم تمسح ويطلق على هذه العملية الدمس أو الكم، فيقال «فلان يدمس الأرض أو يكمها» أي يحرثها ويمسحها بعد بذرها. ولما كانت زراعة السمسم من نوع الزراعة البعلية (المطرية)، فإن المزارع لا يقوم بأي عمليات إضافية، عدا إزالة بعض النباتات والأعشاب الضارة، ثم يترك المحصول حتى فترة الحصاد. وينضج السمسم، عادة، بعد شهرين ونصف إلى ثلاثة أشهر من وضع بذوره في الأرض.

ويحصد السمسم بطريقتين؛ أولاهما، وهي الشائعة، اجتثاث نباتات السمسم من جذورها بالأيدي، أما الأخرى فحصده بالمحش أو الشريم، وتبقى جذوره في الأرض، مثل حصاد القمح في المناطق الأخرى. وتستخدم الطريقة الأخيرة، عندما تسقط الأمطار بعد البذر مباشرة، فتتصلب الأرض على جذور السمسم وتطبق عليه بشدة، فيصبح انتزاعه عند الحصاد صعباً. كما تستخدم هذه الطريقة أيضاً عندما تسيل الأودية، فيجري الماء غيلاً ويدخل إلى الأراضي المزروعة بالسمسم عن طريق الغيل (القنوات الفرعية)، فتشتد الأرض على جذور السمسم. وعلى أي حال، فبعد حصاد السمسم أو اجتثاثه ينشر على الأرض، حتى يجف ثم تزال أوراقه وتربط كل حزمة من السيقان الخضار، والحزمة يصل قطرها حوالي ٣٠سم. وتستخدم في التربيط سيقان الذرة التي نثرت مع بذور السمسم عند البذر، ويطلق على هذه الربطة أو الحزمة مِشقابْ أو شُقْبه وتجمع على مَشَاقيب أو شقب. وتنقل هذه الحزم إلى المجران (الجرين)، وتجمع في (مزوام) أي خيمة، وتترك على هذا الوضع مدة شهر أو أكثر استعداداً لفصل الحبوب عن السيقان والسنابل. ويحرص المزارع على أن يكون المكان الذي يجمع فيه السمسم سواء كان

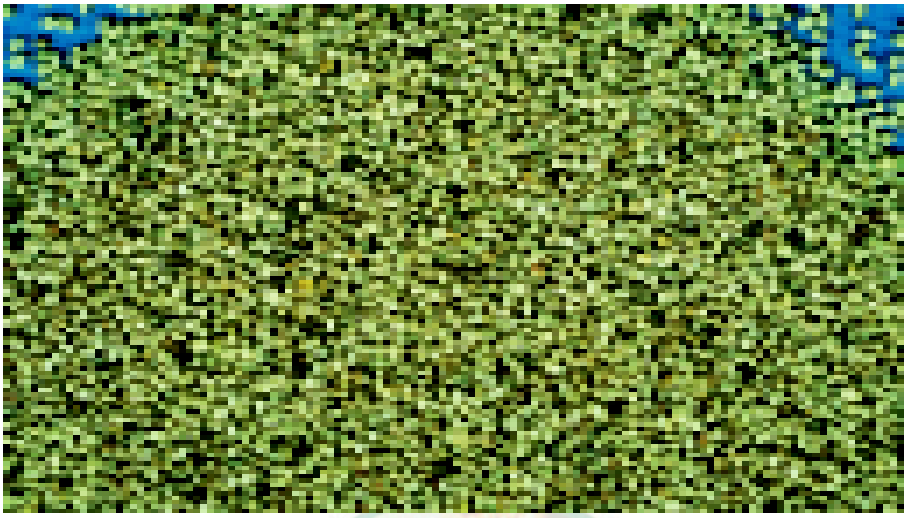

السمسم

المجران أو غيره، غير معرض للهواء حتى لا تحمل الحبوب مع الرياح.

وبعد أن يجف السمسم تماماً وتبدأ سنابله بالتفتح (تُفَفّر)، يشرع المزارع بعملية فصل الحبوب عن السنابل فيفرش حصيراً من الخوص على الأرض، ثم يحمل مجموعة من ربطات أو حزم السمسم جاعلاً سنابلها إلى أسفل ويهزها بيديه حتى تتساقط الحبوب. ويضرب شخص آخر السنابل ضرباً خفيفاً، بعصاً خفيفة ليتساقط ما بقي من حبوب. ويطلق على هذه العملية حت السمسم، وعلى من يقومون بها الحتَّاته. وتجمع الحبوب بعد ذلك ويقوم الفلاح بذرايتها في الهواء، وتصفيتها. ثم تكال وتخزن في أوعية من الخوص تسمى عِجَارْ أو قِفَاعْ.

ورغم أن حبوب السمسم تستهلك أحياناً بخلطها مع بعض الأغذية والحلويات، إلا أن السمسم يزرع أساساً لاستخراج زيته. معصرة السمسم جذع شجرة كبير الحجم أسطواني الشكل، يحفر له في أرض مستوية ويثبت بإحكام لمنع الاهتزاز أثناء عملية العصر. ويجوف الجزء الأعلى من هذا الجذع، ليكون على شكل قمع توضع به حبوب السمسم المراد عصرها. ويعصر بالمهراس، وهو عصاً غليظة مدببة يثبت طرفها الأسفل داخل التجويف في حين يربط طرفها الآخر بقطع من جذوع الأشجار تتصل بقتب الجمل. وعند دوران الجمل حول المعصرة، يبدأ المهراس بعصر حبوب السمسم بالضغط عليها في الجزء الأسفل

من التجويف. وبعد أن تكتمل عملية العصر يستخرج خليط الزيت وبواقي الحبوب، ثم يصفى الزيت وتؤخذ بواقي حبوب السمسم، التي يطلق عليها عُصارْ أو تُنحْ، ويستفاد منها أعلافاً للحيوانات.

البقول والتوابل

تضم هذه المحاصيل الحلبة والرشاد والحبة السوداء، والحبة الحلوة، والكمون والكزبرة والنعناع والخس والرِّجلة (الفرفخ) والجرجير. وفي بعض مناطق المملكة تقوم النساء، عادة، بزراعة هذه المحاصيل والعناية بها وتصفية حبوبها، ومن ثم استخدامها في تجهيز الطعام أو أدوية لبعض الأمراض، خاصة أمراض النساء والولادة.

ويمكن أن يضم إلى هذه المجموعة من المحاصيل، عدد من النباتات التي تستخدم زهورها أو أوراقها في التزين والتجمل، خاصة تزيين الشعر والكفين. ويأتي على رأس هذا النوع من النباتات الحناء والعصفر. وتتركز زراعة الحناء، بشكل رئيسي، في منطقة المدينة المنورة وينبع النخل والمناطق المجاورة، وفي بعض أجزاء من تهامة، وينتقل إنتاجها من هناك إلى مختلف المناطق. أما زراعة العصفر فتتركز في المناطق الوسطى والشمالية، كما توجد نباتات مشابهة، تستخدم في الزينة في كل منطقة من المناطق الأخرى. وأصل الحناء أشجار تؤخذ أوراقها وتدق، ثم تستخدم بعد

الحناء

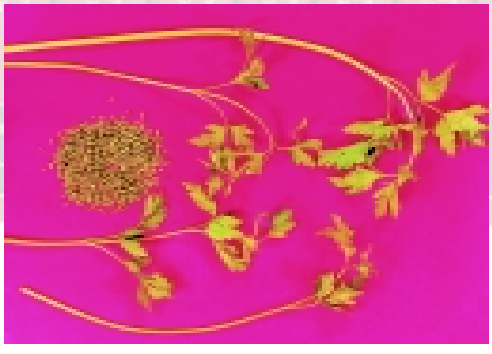

البقدونس

إضافة الماء إليها لصبغ باطن الكفين وباطن القدمين وكذا شعر الرأس، فيتحول لونه إلى لون قريب من الأحمر أو إلى أشقر جذاب. أما العصفر فهو نبات قائم زهري يرتفع إلى حوالي ٨٠سم، ذو أزهار كثيفة صُفْرٍ مرة المذاق. ويضاف مع البهارات الأخرى لإعطاء الطعام لوناً ورائحة، كما يضاف مع الأرز لإكسابه لوناً كالزعفران وتستخدم بذوره في علاج الرق، وتسمى الكبوس حيث تطحن وتذر في العين المصابة بالرمد فتطهرها. كما تلتقط النساء أزهار العصفر، ويجففنها ثم يسحقنها لتضاف إلى بعض مساحيق التزين والعطور. كما يستخدم مسحوق أزهار العصفر، مثله مثل الحناء، لمشط الشعر، حيث يكسبه لوناً أشقر جذاباً، ويزيده نعومة وطراوة، كما تسهم مرارته الشديدة في قتل الحشرات التي تعيش على فروة الرأس؛

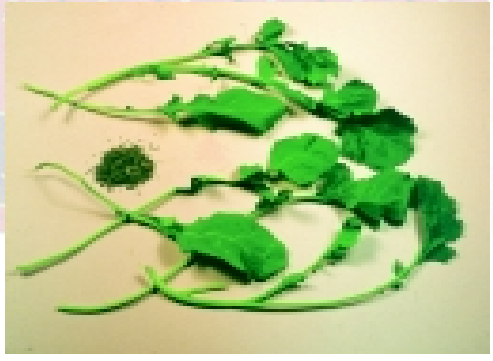

الجرجير

لخس

وفي هذا الشعر الممشوط بالعصفر تتغنى إحدى المشاطات فتقول:

أصفر معصفر ليت محسن يشوفه
توه على حد الغرض ما بعد لمس

كما يزرع الريحان الذي يسمى في الأحساء المشموم، والذي تضعه النساء في جدايل شعر الرأس لرائحته الطيبة. ومن النباتات المماثلة نبات البعثيران والبرك والكادي والعطر وهي مما تستخدمه نساء الباحة في التجمل ولذلك يُعنين بزراعته.

الخضار

يطلق كثير من الناس في المملكة العربية السعودية هذا المصطلح على طائفة من المزروعات منها الخضراوات ومنها الفواكه. فقد يقولون عن الفلاح إنه قد خضّر أي بذر بذور البطيخ والشمام وغيرهما كالقرع. ولذلك سنعرض لزراعة الخضراوات والفواكه تحت هذا المدخل.

إن أبرز خصائص الزراعة التقليدية وسماتها في المملكة في الأزمنة الماضية أنها زراعة هدفها الرئيسي سد الاحتياجات الغذائية الضرورية للفلاح وأسرته. لذا كان التركيز على المحاصيل الغذائية الرئيسية؛ وهي النخيل والحبوب الغذائية لأنها الغذاء الأساسي لسكان البلاد في مختلف المناطق. وكان الاعتماد على إنتاج أي منهما (النخيل والحبوب) يختلف من منطقة إلى أخرى فتزيد أهمية أشجار النخيل في مناطق، كالأحساء والقطيف والمدينة المنورة وينبع النخل وخيبر وبيشة ونجران وبعض المناطق الوسطى والشمالية، وتزداد أهمية الحبوب، سواء أكانت قمحاً أم شعيراً أم ذرة أم دخناً، في مناطق كتهامة وجبال الحجاز وأجزاء من المناطق الوسطى والشمالية. وتحقيقاً لهدف الاكتفاء الذاتي كان المزارعون في هذه البلاد يحرصون على أن يزرعوا أكبر مساحة ممكنة من هذه المحاصيل الرئيسية، حتى يلبوا الاحتياجات الغذائية لأسرهم، ويفوا بما عليهم من التزامات وديون للعمال والتجار والحرفيين، الذين يتعاونون معهم ويمدونهم بما يحتاجون إليه من أدوات وحيوانات وبذور وغيرها. ثم يبيعون ما فضل عن ذلك، ليشتروا بثمنه بعضاً من احتياجاتهم الأخرى، كالملابس والفرش وأدوات الطبخ والبن والهيل والسكر والملح ونحو ذلك.

وانطلاقاً من هذا المنظور العام، فإن بقية المحاصيل التي تشمل الخضراوات والفاكهة والبقول والأعلاف وغيرها، لم تكن ذات شأن يذكر ولم يكن معظم المزارعين يعيرونها الكثير من الاهتمام. وعندما تزرع تكون زراعتها، غالباً، على هامش الأراضي الزراعية، وإذا خصص لها المزارع مساحات فإنها غالباً ما تكون صغيرة ومحدودة، لسد احتياجات أسرته، أما ما يزيد عن ذلك فغالباً ما يوزع دون ثمن على الأقارب والجيران والأصدقاء والمحتاجين. ولا يبيع المزارع أياً من هذه المحاصيل ولا يقايضها بغيرها من السلع، إلا في حدود ضيقة وتحت ظروف معينة.

والواقع أن عدم تركيز الفلاح على هذه المحاصيل بنفس درجة تركيزه على أشجار النخيل ومحاصيل الحبوب الغذائية إلى جانب السمسم، يعود في الأساس إلى محدودية الموارد الطبيعية والمالية المتاحة للفلاح، ورغبته في توجيه هذه الموارد لخدمة المحاصيل الأساسية وأيضاً لقلة الطلب. فمحدودية موارد المياه في معظم المناطق، ومحدودية الأراضي الصالحة للزراعة في مناطق أخرى، ومحدودية قدرة الفلاح على خدمة الأرض الواسعة

نظراً لاعتماده على الجهد العضلي للإنسان والحيوان، في جوانب متعددة من العملية الزراعية كرفع الماء من الآبار والحراثة والرياسة والحصاد والدياسة والذراية وجني المحاصيل، جميعها تجعل قدرة الفلاح مقتصرة على زراعة مساحة محدودة من الأرض في كل سنة. وما دام الأمر كذلك فإن الفلاح يحاول أن يستغل هذه المساحة المحدودة بالتركيز على زراعة المحاصيل الضرورية (النخيل والحبوب الغذائية والسمسم)، التي تشكل الغذاء الأساسي للسكان وهي السلع الرائجة في البيع والمقايضة. أما المحاصيل الأخرى فكانت تعد محاصيل ثانوية لدى جمهور المزارعين، لأنها لا تشكل أهمية تذكر في غذاء الناس، ولأن استهلاكها مقصورٌ على مواسم محدودة في السنة، فكان المزارعون يزرعونها على نطاق ضيق.

تشمل الخضراوات التي كانت تزرع في هذه البلاد نوعين رئيسيين؛ أحدهما الخضراوات التي تستهلك وتؤكل مطبوخة كالقرع والباذنجان والطماطم واللوبيا (اللوبا) والباميا والفلفل الحار (الحبحر، ويعرف في الأحساء بالدراز)، والثاني الخضراوات التي تستهلك طازجة وهي البطيخ (الحبحب) والشمام والطروح والخيار. ويأتي القرع على رأس محاصيل الخضراوات من حيث الأهمية وسعة الانتشار، وكان يزرع منه عدة أنواع، أهمها القرع الشامي (الدُّبا)، وهو أبيض كبير ذو شكل كروي، والقرع الأبيض ذو الرقبة الذي يسمى في بعض المناطق الرقيبي، ثم القرع الأصفر المستطيل الذي يسمى القرع المصري. وترجع أهمية القرع إلى أنه يمكن الاحتفاظ به لفترات طويلة بعد أن يقطف من دون أن يتلف أو يفسد، ولذا كان المزارعون يتوسعون في زراعته أكثر من أي نوع آخر من أنواع الخضراوات. وكانت الطريقة المتبعة للاحتفاظ به والمحافظة عليه بعد قطفه، في ضوء انعدام وسائل الحفظ المبردة، أن يوضع في إحدى الغرف فوق كمية من التبن ويغطى بأخرى. ويأخذ المزارع منه ما بين وقت وآخر بقدر الحاجة. وإذا كانت غرفة التخزين هذه جيدة من حيث التهوية وعدم التعرض لأشعة الشمس المباشرة، فقد يستمر القرع محتفظاً بطراوته، وعناصره الغذائية لفترة قد تصل إلى سنة كاملة. ولذا فلا غرابة أن كان القرع من العناصر الغذائية الشائعة التي تضاف إلى كل وجبة من وجبات الفلاحين، كالمرقوق والمطازيز (القبابيط)، خاصة عندما يكون لدى الفلاح عمال (شواغيل أو حرفيه)، يعملون في أي من أعمال الزراعة، كالحراثة وتقليب الأرض أو السواني أو الرياسة أو موالاة

النخل. ولما كان هؤلاء العمال، خاصة أولئك الذين يعملون في حراثة الأرض بالمساحي (الختام)، يحتاجون إلى غذاء جيد ودسم، فلم يكن يستهويهم أكل القرع فقد ملّوه من كثرة ما أكلوه.

ويلي القرع من حيث الأهمية وسعة الانتشار الباذنجان (البيدجان) والطماطم (البندوره أو القوطه أو الطماط) والفلفل الحار (الحبحر) ثم اللوبيا والكوسه والفجل والجزر والباميا والبصل والكراث والثوم. ويعد البصل محصولاً ثانوياً رخيصاً؛ قالوا في المثل «بايعها ببصله» كناية عن تفاهة الثمن؛ ويضرب هذا المثل لمن سئم الحياة، ولم يعد يبالي بما تبقى من أيامٍ له فيها؛ كما يضرب لمن يُخشى أن يتصرف تصرفاً أهوج لأنه لم يعد يحسب للنتائج أي حساب؛ وهناك مثل يقول «ولا يسوى بصله» بمعنى إنه تافه لا قيمة له ولا اعتبار، كالبصلة. وأرخص منه الثوم، وقلّ من يقبل على أكله في المناطق الوسطى من الجزيرة؛ يكرهون رائحته وأثره على العين، وجاء في أمثالهم «حب العين لفص الثوم» أي هو يحبه كحب العين للرأس من الثوم؛ ويضرب المثل في التهكم أو الأمر المفتعل غير الحقيقي، وتسمية الرأس من الثوم بالفص تسمية قديمة. وقالوا «طعم الثُّوم وَاحِد»؛ يضرب في الأشياء المتشابهة. وكانت بعض هذه الخضراوات تعرف في المنطقتين الشرقية والغربية من المملكة. أما المناطق التي ليست على اتصال قوي بالبلدان الأخرى، كمعظم المناطق الوسطى، فلم تعرف بها كل هذه الخضراوات إلا في أوقات متأخرة، وإن عرفت قديماً في منطقة القصيم.

الثوم

أما الخضـار التي تستهـلك طازجة بدون طـبخ، وهي الـبطيـخ (الجح أو الحبحب)، الذي يسمى في الشرقية عامة الرقي، ومن الخضار الجـرو (الشمام أو الخربز)، والطروح والخيار، فقد كـانت معروفـة في جميع المـناطق منذ عـهود بعيدة. وكان النوع المعروف من الحبحب هو الحبحب الأخضر ذو الشكل الدائري، أما الحبحب الأبيض المستطيل الذي يدعى (السيدلان) فلم يعرف في معظم مناطق البلاد إلا في عصور متأخرة.

ولزراعة البطيخ بأنواعه أهمية خاصة في المنطقة الوسطـى بالذات، حيث كان كثير من المزارعين من غير الملاك يشتركون على شكل مجموعات، تتفق كل مجموعة على زراعة أرض معينة بالبطيخ. وذلـك بأن يـجتمع اثـنان أو ثلاثة أو أكـثر من المزارعين ويتفقون مع صاحب المزرعة على استثمار رقعة من الأرض المجاورة لمزرعته، وتسمى حياله (تجمع على حيايل)، ويطلق على العقد الذي يبـرم بينهم قضابه وهو عقد شفهي في الغالب، أي غير مكتوب، نظراً لقلة القادرين على الكتابـة في ذلك الوقت، ونظراً للثـقة الكبيرة التي كانت سائدة بين الناس في تعاملاتهم.

كما يسمى العقد بين الشركاء شراكه، وتعقد هذه الشراكة، عادة، بالاتفاق على

البطيخ

نسبٍ متساوية من المحصول بين الشركاء، مع احتساب نسبة محددة لصاحب الملك.

وفي الغالب تكون الأرض المخصصة لزراعة البطيخ خاليةً من أي زراعة أخرى، وقد تسقى من بئـر المزرعة، وقد تكون بها بئر خاصة تسقى منها، حيث تنظف الأرض، وتخطـط على شكل جـداول متقاطعة، يمرر من خلالها الماء لتكتسب الرطوبة، وتسمد، ثم يغرز بذر البطيخ على جوانبها الداخلية.

ويتعاقب الـشركاء على رياسة الماء في مـزرعة البـطيخ، ويـشتركـون في حمايتها من الآفات. فإذا ظهرت نباتات البطيخ الزاحفـة ونمت وأخذت وضعها الطبيعي في التمدد على سطح الأرض، فإنها تأخذ في التبرعم ثـم طرح الحدج الذي يـشبه حـدج الحنظـل البري فـي الاستدارة، ثم يكبر مع الأيام حتى يكتمل نموه.

وعند اكتمال نمو البطيخ تشتد حمايته من اللصوص، ومن الثعالب والنسور، وذلك بالمبيت داخل المزرعة ليلاً، وبرصدها ووضع الفزاعات في أماكن متفرقة في النهار، ويتبادل الشركاء الأدوار في سقي المزرعة وحمايتها حتى يكتمل نضوج المحصول.

بعد ذلك تأتي عملية جني المحصول، وجلبه إلى الأسواق بشكل يومي تقريباً. فإذا كان المحصول كثيراً فإنه قد يصدر إلى المدن المجاورة، خاصة بعد وجود وسائل النقل اللازمة (اللواري والونيتات).

ولما لهذه الطريقة في الزراعة من أهمية وشأن كبير لدى المزارعين، فإنها قد تضطرهم إلى ترك مساكنهم والانتقال للسكن المؤقت داخل المزارع. كما قد ينتقل بعض المزارعين من بلد إلى بلد آخر لممارسة هذا النوع من الزراعة أثناء الموسم، حسب قلة مياه الآبار أو توافرها من منطقة لأخرى، وبعد انتهاء الموسم يعودون إلى قراهم.

وتبدأ زراعة الخضراوات عموماً في فصل الربيع، على فترات متفاوتة أولها يزرع بعد ظهور نجم البلدة (السماك الثاني) بعشرة أيام، وهي فترة نهاية (الشِّبْط) عند أهل الحساب. ويبدأ، عادة، بزراعة القرع، ثم يتبع ذلك الحبحب والشمام والطماطم والباذنجان وسواها من الخضراوات الأخرى. وتستمر زراعة الخضراوات قديماً حتى نهاية الحميم الأول (سعد الأخبية)، الموافق لبداية شهر أبريل بالتقويم الحديث. وتتوافق زراعة معظم هذه الخضراوات واشتداد حاجتها للماء، مع انتهاء زراعة الشتاء (القمح والشعير). فما أن يقطع الفلاح الماء عن حبوب الشتاء، حتى يصرفه إلى النخيل وزراعة الخضراوات، إن وجدت، إلى أن يحين موسم زراعة حبوب الصيف (الذرة والدخن).

وتتباين طريقة زراعة الخضراوات وريِّها حسب طبيعتها، فالقرع والحبحب والشمام وغيرها من الخضار التي تزحف وتتفرع وتتمدد بشكل أفقي على سطح الأرض، تزرع، عادة، إما على السواقي أو قنوات الري الرئيسية، خاصة الساقي الذي يدعى القائم أو القيُّوم، الذي يمتد من الجابية (بركة الماء) إلى الأحواض، أو على سواق خاصة اسمها المشاعيب أو الأمديه. والمشعاب أو المديّ ساق كالسواقي الأخرى، ولكنه لا يوزع الماء على الأحواض، بل يقتصر على إرواء الخضار والمزروعات المزروعة على كالّتيه أي ضفتيه. وعادة يزرع الساقي الرئيسي بالقرع، ولذا فالقرع لا يكلف الفلاح

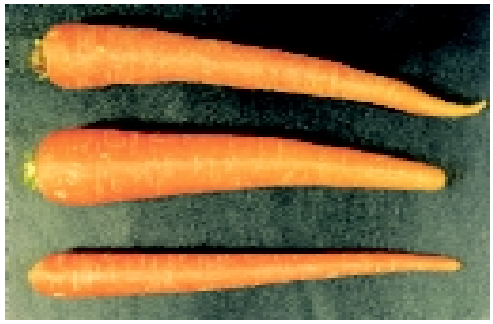

لجزر

الباميا

كثيراً، ولذلك يعد شيئاً رخيصاً؛ يكشف هذا، المثل الشعبي «أغلى من قرعة البصرة». ويضرب هذا المثل في الشيء الرخيص الذي يتكلف غالياً. وقد يخصص المزارع للقرع أيضاً مشعابين أو ثلاثة، في حين يزرع الحبحب والشمام (الجرو)، إما مجتمعين أو منفردين على مشاعيب خاصة، تمتد نباتاتهما على كلا جانبي كالَّتيْ الساقي. أما الخضراوات الأخرى القائمة كالباذنجان والفلفل الحار (الحبحر) والطماطم، فتزرع، عادة، في أحواض صغيرة أولاً، على شكل شتلات تسمى في المنطقة الوسطى حكيرة، ثم تؤخذ شتلاتها، عندما ترتفع قليلاً وتغرس في أحواض أكبر على مسافات متباعدة بعض التباعد. ومن الخضراوات التي تزرع كذلك البامية والملوخية والقثاء والفجل والجزر والبصل والكراث والثوم.

ويختار المزارع لمحاصيل الخضراوات أرضاً جيدة ومشمسة، تحرث وتسمد وتشق مشاعيبها، أو تعمل أحواضها ثم تبذر ببذور الخضار المختارة. وتزرع الخضراوات في بعض المناطق، التي تحتل أشجار النخيل الجزء الأكبر من أراضيها الزراعية، كالأحساء والقطيف، في مناطق خاصة خالية من أشجار النخيل تعرف بالضواحي. أما أحواض النخيل فتزرع بها، عادة، محاصيل أخرى، كالبرسيم والدخن والذرة وبعض أشجار الفاكهة.

أمّا أشجار الفواكه فعرف المزارعون في مختلف مناطق المملكة زراعة أنواع عديدة منها منذ فترة طويلة. وتتفاوت أهمية كل فاكهة من منطقة إلى أخرى. ويأتي العنب بجميع أنواعه، الأبيض والأسود والأحمر، على رأس قائمة الفواكه من حيث الأهمية وسعة الانتشار.

العنب

فقد كان معروفاً في جميع مناطق المملكة، وكان كثير من مزارعي النخيل يغرسون عدداً من أشجار العنب لتغطي احتياجات الأسرة والأقارب والجيران. والعنب أنواع عديدة، ولكل منطقة من المناطق أنواع معينة، تتفاوت من حيث شكل الحبيبات ولونها وطعمها ومواسم نضجها. وتوضع أشجار العنب، عادة، إما على الساقي الرئيسي، الذي يمتد من الجابية إلى المزرع والنخيل، أو على جوانب الجابية نفسها، وقلما يخصص لها سواقٍ خاصة بها.

ويلي العنب من حيث سعة الانتشار الرمان والأترنج، ثم الليمون (أبو زهيرة) والتين والخوخ والمشمش وبعض أنواع البرتقال والتفاح. وهذه الأنواع الأخيرة قد توجد في مناطق دون الأخرى، خاصة في الطائف وجبال السروات والأحساء والقطيف والمدينة، وبعض مناطق الشمال. كما أن اليوسفي والبرتقال والليمون تنمو نمواً جيداً في منطقة حائل كذلك، فضلاً عن الزيتون الذي ينمو في مناطق الشمال بصورة طبيعية. كما كان الموز معروفاً في بعض المناطق منذ القدم، كالقطيف وبعض مناطق تهامة. وبوجه عام فإن هذه الأنواع جميعها كانت تزرع في الغالب الأعم على السواقي الداخلية للمزرعة وبين أشجار النخيل، وكان المزارعون القدماء يكتفون عند زراعة هذه الفواكه ببضع أشجار من كل نوع،

التفاح

لأن الهدف من زراعتها، كما هو حال الخضار، هو سد احتياجات الأسرة، ثم توزيع بعضها على شكل هدايا للأقارب والجيران والأصدقاء.

ويبدأ غرس معظم أشجار الفواكه المذكورة بعد انقشاع برد الشتاء، أي نهاية الشِّبط وبداية العقارب عند أهل الحساب؛ يقول الشاعر محمد العبدالله القاضي المعروف بإلمامه الكبير بالفلك والحساب، قاصداً نجمي النعايم والبلده (الشبط) ومحدداً وقت غرس الأشجار، ما يلي:

نجمينٍ تسمى السماكين وبعضهم
يسمونهن الشبط بالبرد عالق
ترى برجهن بالدلو والظل سبعه
ومحسوبهن سته وعشرين شارق
بهن يظهر الهدهد والاشجار كلها
تغرس ويجرى الماء بالعود سابق

ويقول في وصف الفترة التالية وهي فترة العقارب الثلاث عند أهل الحساب، وهي الأسعدة الثلاثة (سعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود) ويطلع أولها في ١١ فبراير الموافق ٢٢ من برج الدلو، والثاني في ٢٤ فبراير الموافق ٥ من برج الحوت، ويطلع ثالثها وهو سعد السعود في ٩ مارس الموافق الثامن عشر من برج الحوت:

الرمّان

وتطلع سعودات النجوم الثلاثه
وهن العقارب عند بعض الخلايق
فالورد والرمان والخوخ يورق
بالاولى وينظر تين غصن المطارق
والثانية هي آخر البرد وابتدا
ربيعه مع انوا الصيف والعرق عالق
وبالثالثه يورقن الاشجار كلها
وتزهر رياحين بها البرد خافق

فهذه الفترة، وهي فصل الربيع، هي فترة ظهور أوراق الأشجار وجريان المياه في العروق والأغصان.

ويحدد القاضي وقت نضج معظم هذه الفواكه بظهور نجم الجوزاء (الهنعه)؛ ويوافق ١٧ من يوليو أو ٢٦ من برج السرطان:

عقب تظهر الجوزا كشلفا شمالها
نظيم تلالا كالدراري لواهق

تبـرا لها الـهقعـه وبالهـنعه انـتهت
تهـب السـمايم فـيه والـظل سـايق
سـته وعـشريـن السـرطان بـرجهـا

يصـلح بـفصـله كـل حلو وحـاذق

ويسـتمر موسـم قطف ثـمار هذه الفواكه معظم فصـل الصيف (القيظ)، أي طوال بـرج الأسد (٢٢ يوليـو-٢١ أغسطس)، حيث تقطف معظم الثمار، ولا يتبقى منها بعد ذلك إلا القليل. ولما كانت هذه الفترة هي فترة نضج التمور في معظم المناطق، فإن المزارعين كثيراً ما يستقبـلون العديد من الضيوف والزوار

الخوخ

التين الشوكي (البرشومي)

للتمتـع بأطايب الرطب وما لذ وطـاب من أصناف الفواكه والخضر، يقدمها لهم المزارع بالترحاب ويحتفل معهم بمـوسم من مواسم جني الثمار بعد عناء العمل الطويل.

الأعلاف

تعـتمـد الزراعة الـتقلـيديـة على الاستخدام الكثيف للحيوانات في العديد من العمليات الزراعية، خاصة عملية رفع المـياه مـن الآبار (الـسوانـي) وحراثـة الأرض. ولذلك كان المزارع في العصور الماضيـة يحتاج إلى كـميات كبيـرة من الأعلاف على مدار السنة، لتقديمها إلى هذه الحيـوانات وسواها من الحـيوانات الأخرى داخل المزرعة. وكان المزارع في ذلك الوقت يـعتمد على ثلاثة مـصادر رئيسية لإمداده بما يحتاجه من أعلاف، أولها مخلفات المحاصيل التي يزرعها،

بخاصة التبن المتخلف عن تصفية حبوب القمح والشعير، أو القصب المتخلف عن قطاف الذرة والدخن، أو نوى التمر (العبس) بعد تنقيعه ودقه أو طبخه. أما المصدر الثاني لعلف الحيوانات، فهو النباتات البرية، فقد كان من الشائع أن يخصص كل فلاح جملاً أو حماراً يستخدمه أحد الرجال لجمع الحشائش والأشجار والأعشاب البرية، على مدار العام، كالعرفج والثمام والنصي والحمض والجثجاث والشيح وغيرها. والمزارع عادة لا يكتفي بذلك، بل يدعو جميع من في المزرعة من الرجال، وأحياناً من النساء أيضاً، أثناء وقت فراغهم، خاصة في الفترة التالية لحصاد حبوب الشتاء ودياستها وتصفيتها، إلى الذهاب للبر وجمع المزيد من الحطب والحشائش والأشجار، التي تخزن ويؤخذ منها بقدر الحاجة، خاصة أثناء فصل الشتاء حيث تقل الأعلاف في الوقت الذي تزداد فيه الحاجة إليها.

وتأتي الأعلاف الخضراء التي يزرعها المزارع، مصدراً ثالثاً من مصادر العلف لحيواناته، وهي تشمل أساساً البرسيم (القت)، ثم بعض محاصيل الحبوب التي تزرع علفاً للحيوان، كالشعير والذرة وبعض أنواع الدخن والدقسيه (الشاميه).

كما تزرع بعض أنواع الحشائش، مثل الرشيدي في الأحساء. وعادة يكتفي المزارعون بمساحات قليلة من الأرض لزراعة هذه الحشائش لأنهم لا يحتملون أن تُنافسَ البرسيم، الأكثر منها أهمية، على الماء. من جانب آخر فإن مما جعل المزارع في العصور الماضية لا يتوسع في زراعة محاصيل الأعلاف الخضراء ما اكتسبه من خبرة مفادها أن هذه الأعلاف وحدها لا تفيد الحيوانات ولا تقيم صلبها لمواجهة العمل الشاق. ولذلك يعمد المزارعون إلى خلط هذه الأعلاف مع التبن وقصب الذرة والأعشاب والحشائش والشجيرات البرية، فتشكل مجتمعة علفاً متوازناً ومتنوعاً يدعى الصفو أو الصَّويل يقدم للحيوانات، خاصة حيوانات السواني أثناء عملها وفي أوقات راحتها، وهو يقدم عادة في الشتاء ليمنح الحيوانات دفئاً وحرارة.

وتزرع محاصيل الأعلاف، سواء أكانت برسيماً أم شعيراً أم ذرة أم دخناً أم دقسيه، إما في أحواض مستقلة أو في أحواض أشجار النخيل. وقد سبق أن بينا أبرز العمليات الزراعية المرتبطة بزراعة الحبوب المستخدمة غذاء أو أعلافاً. فالبرسيم تبدأ زراعته عادة مع انقشاع البرد، أي في نهاية العقرب الثالثة (سعد

السعـود)، وبداية فصل الـربيع (سعـد الأخبية) الموافق لأول يوم من برج الحمل أو الحميم الأول عند أهل الحساب. وتعد الأرض لزراعة البرسيم بتنظيفها وحرثها ثم تقسم إلى أحواض كأحواض القمح، وتسمد ثم تبذر فتحرث مرة أخرى حراثة خفيفة لإخفاء هذه البـذور، تحت طبقة من التربة. وفي الأحساء بعد عملية البذر يقوم المزارع بالدَّمَام، أي تغطية البذر ولا يحرث مرة أخرى. وفي كثير من الأحيان يزرع مع البرسـيم الفجل. وفي بعض المناطق كنجران، لا تحرث الأرض بعد وضع البذور بـل تضرب البذور، التي تدعى الصَّيِّب، بجريد النخل وسعفه، حتى تدخل فـي باطن التربة. ويوضع فوقها بعض السماد (الدمن) ليساعد في إخفاء البذور، فلا يأكلها الطير.

وتروى الأحواض المبذورة بالـبرسيم الرية الأولى بعد البذر مباشرة. ثم تتوالى الرَّيات بعـد ذلك مرة كل أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع. ويحصد الـبرسيم الحصدة الأولى بعد أربعين إلى خمسين يوماً، من بدء زراعته. ثم يتوالى الحصاد بعد ذلك مرة كل ثلاثة إلى أربعة أسابيع، لفترة قد تمتد من أربع إلى خمس سنوات وقد تزيد عن ذلك في الأراضي الخصبة، التي تسمد دورياً وتروى وتخدم خدمة جيدة. وفي الباحة يؤكل القضب إذا كان غضاً صغيراً مع الملح من باب التفكه، وأحياناً يـسلق بكمية كبـيرة ويصبح أحد أنواع الغذاء؛

حقل برسيم

وفي هذه الحالة يدعى القرّاص إذا كان مضافاً عليه نبات القُرّاص.

وعندما يلبث البرسيم في الأرض بضع سنين، ويأخذ إنتاجه بالانخفاض التدريجي، يكون الوقت قد حان لحبس الماء عنه وزراعة أرض جديدة. وعندئذ يلجأ المزارع إلى ما يسمى تعييش البرسيم أو تحييله، أي تركه دون حصاد حتى يزهر ويثمر وتنضج حبوبه، حيث تقطف هذه الحبوب، وتخبط وتصفى لتبذر في أرض جديدة. ويختار المزارع تعييش البرسيم، عادة، في الفترة اللاحقة لحصاد القمح ودياسته حيث يتوافر التبن علفاً للحيوانات. كما أن هذه الفترة (فترة الوقفة) يقل فيها عمل الحيوانات خاصة حيوانات السواني ولذا تنخفض حاجتها واستهلاكها للأعلاف.

وبإيجاز فإن تحليل التركيب المحصولي في الزراعة التقليدية في المملكة، في العقود الماضية، يظهر أن قلة الموارد الطبيعية والإمكانات المتاحة لدى المزارع، تجعله دوماً يختار من المحاصيل الأهم فالمهم منها. ولذا فلا غرو أن احتلت المحاصيل الغذائية الرئيسية، وهي النخيل والحبوب الغذائية والبرسيم، الجزء الأعظم من الأراضي الزراعية. أما المحاصيل الأخرى، التي تشمل الخضراوات والفواكه والبقول ومحاصيل الأعلاف وغيرها، فجميعها لا تخرج عن دائرة المحاصيل الثانوية. وهي إذا زرعت لا تحتل سوى مساحات ضيقة، وبالقدر الكافي، وفي الوقت الذي لا تؤثر فيه على التتابع الدوري للمحاصيل الرئيسية. والواقع أن عمل الفلاح في العصور الماضية، لم يقتصر كله على زراعة المحاصيل، وما يرتبط بها من عمليات زراعية متعددة، بل إن جزءاً مهماً من وقته وجهده، كان موجهاً لجمع الحشائش والأعشاب والشجيرات البرية والحطب، خاصة في موسم الوقفة؛ أي الفترة التالية لانتهاء زراعة محاصيل الحبوب الشتوية وجني ثمارها. وهكذا فإن الفلاح في العصور الماضية كان دائم العمل طوال العام، فما أن ينتهي من عملية زراعية أو جني ثمرة محصول، حتى يبدأ عملية أخرى، أو إعداد الأرض لزراعة محصول آخر ومن هنا سميت الزراعة الكدادة إذ الكد هو العمل المتواصل الذي لا راحة فيه.

الموازين والمكاييل

القبان (القفان). وهو الأداة التي كانت تستخدم قديماً لوزن الحبوب والتمور بل والأعلاف أيضاً، سواء التي تزرع

كالبرسيم أو التي تجمع من البر مثل العرفج والسبط والثمام وغيرها. والقفان خشبة طولها في المتوسط حوالي ٣ أمتار وقطرها حوالي ٥سم، يثبت بها قطعة من الحديد تحمل بها وتعلق. ويتوسط هذه الحديدة لسان من الحديد متصل بالخشبة، وهو الذي يحدد اتجاه الوزن لأي من جانبي الميزان. وتقسم هذه الخشبة إلى قسمين على جانبي اللسان، أحدهما محزز (مدرج) تعلق فيه قطعة من الصخر تسمى حصاة القفان (القبان)، في حين يعلق ما يراد وزنه من التمر أو البُر أو غير ذلك من المحاصيل في الجهة الأخرى. وتحرك حصاة القفان في الجزء المدرج نحو الداخل أو الخارج لتحديد الوزن، فكلما حركت نحو طرف الجزء المدرج زاد الوزن والعكس بالعكس، وعندما يتوازن وزن الحصاة مع السلعة

القبان (القفان) والمرحله

حصاة القبان

المراد وزنها، ويكون لسان القفان عمودياً عليه تماماً، يتحدد الوزن حسب موقع الحصاة من الجزء المدرج.

الميزان ذو الكفتين. ويستخدم هذا النوع في وزن السلع الاستهلاكية المختلفة، كالسكر والبن والهيل والأرز وغيرها. والوزن أن توضع وحدة القياس (الوزنة)، أو مضاعفاتها أو أجزاؤها، في إحدى الكفتين، والسلعة المراد وزنها في الكفة الأخرى. ويزاد في السلعة وينقص حتى تتوازن مع الوزن المطلوب. وهذا النوع من الموازين يصنع جميعه من الحديد، ويستخدم بوجه خاص لدى التجار.

والوحدة الرئيسية المستخدمة في الوزن قديماً هي الوزنة، والوزنة تعادل حوالي ١٢/٣كجم، وهي أكثر المقاييس ثباتاً في مختلف المناطق. وإلى جانب الوزنة توجد مقاييس أخرى للوزن، ورغم تشابهها في الاسم، إلا أنها تتفاوت في وزنها بين منطقة

وأخرى، بل ربما داخل المنطقة الواحدة. وعلى سبيل المثال فإن المَنّ الحساوي الذي يعادل حوالي ١٥٠ وزنة أو ٢٥٠ كيلوجراماً تقريباً، يعادل ستة عشر منًّا في القطيف حيث يعادل حوالي ١٥,٥كجم أو ٩,٤ وزنة فقط من الحبوب.

ومن أهم هذه الموازين، كما ذكر السبيعي؛ الرُّبْعَه؛ وتعادل حوالي ٠,٧٠ من الرطل أو ٠,٣٢كجم. والرطل؛ ويعادل حوالي ٠,٤٥ من الكيلوجرام. و(الأُقة)؛ وتعادل حوالي ٣/٤ وزنة أو ١١/٤كجم. والثمين (الحق)؛ ويعادل ٤ ربعات أو ١١/٤كجم. والقياسه؛ وتساوي ٧ وزنات أو حوالي ١٠,٦٨كجم. والقَلّه (خص)؛ وتعادل ٦ قياسات في المتوسط أو حوالي ٦٤ كيلوجراماً. والمَنّ؛ ويعادل ٤ قلال أو حوالي ٢٥٠ كيلوجراماً. (١٩٨٧: ١٠٨-١٠٩).

وفي حين يقتصر استخدام المقياسين الأخيرين (القلّه والمن) على وزن التمور فقط، فإن المقاييس الأخرى تستخدم لوزن سائر السلع، بل وتوجد أجزاء منها مثل ربع وثلث ونصف لوزن السلع المرتفعة الثمن.

المكاييل. تصنع المكاييل بمختلف أحجامها من أخشاب الأثل أو الطلح أو السدر أو الغرب؛ يصنعها النجارون، خاصة المتخصصون منهم بصناعة ونحت الأواني الخشبية كالصحاف والمواقع (جمع مُوقَعه أو مِيقَعَه) والمغارف وغيرها. أمّا صنع هذه المكاييل فيتم بأن يقطع الخشب بالمقاس المحدد، ثم ينحت من الداخل بأدوات خاصة حتى تأخذ شكلها المطلوب، وقد يدار عليها من الخارج شريحة من القد أو الحديد لتقويتها، كما قد تزين ببعض النقوش المحفورة في إطارها الخارجي؛ وأشهر أنواع المكاييل:

الصَّاع: وهو أداة الكيل الرئيسية في مختلف المناطق منذ عهد النبي ﷺ بل قبل ذلك حتى الوقت الحاضر. والصاع يعادل حوالي ٢,٤كجم وزناً. وجاء ذكر الصاع في المثل الشعبي؛ قالوا «يكيل له على قفا الصاع» أي أنه يعطيه أقل الأمور وأتفه النتائج كما يكيل الكيال على قاع الصاع المكفي فلا يأخذ شيئاً.

المُد: وهو ثلث الصاع، ونصف المد هو السديس أي سدس الصاع، وقد ورد في المثل؛ قالوا «أول السِّدِيْس ثقالة واليوم له مقالة»، والثقالة الجريشَ ونحوه يوضع مع طبخة المرقوق، ويسمى ثقاله. ويعني المثل تغير المقاييس حيث أصبح ينظر إلى الشيء القليل، وكأنه كثير، ويحدث ذلك عند شح الأرزاق. أما المد الموجود على عهد النبي ﷺ فيعادل ربع الصاع أي

مكاييل بأحجام مختلفة

أن الصاع يساوي أربعة أمـداد. وقد ورد ذكر المد والصاع في عـدد من الأحاديث النبوية الشريفة، خاصة ما ورد في الدعاء للمدينة المنورة وأهلها وأن يبارك الله فـي أرزاقها. ومن هذه الأحاديث ما ورد عن أبي هـريرة # قال: كـان الناس إذا رأوا أول التـمر جـاءوا إلى الـنبـي ﷺ فإذا أخذه رسول الله قال «اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا فـي مدينتنا وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدّنا...». ومنها ما رواه البخاري في صحيـحه عن أنس بن مالـك # أن الرسـول ﷺ قال «الـلهم بارك في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم»؛ يعني أهل المدينة. وكانت المدينة المنورة مشهورة بالكيل والمكاييل، أما مكة والطائف فمشهورة بالوزن والموازين. والمد في الباحة والمناطق الجنوبية يزيد كثيراً عن المد في المـناطق الأخرى، حـيث يعادل صاعين تقريباً أو ما يعادل حوالي خمسة كيلوجرامات وزناً.

النُّصَيف: وهو يـعادل نصف المد، أي أن الـصاع يـعادل ٦ نـصـيفـات. والنصـيف في منطـقة الباحة والمنـاطق الجنوبية يساوي نصف المد هناك وهو ما يعادل حوالي ٢ ١/٢ كيلوجرام.

الرُّبَيْع: ويعادل نصف النصيف، أي أن الصاع يعادل ١٢ ربيعاً. أما في منطقة الباحة ومناطق الجنوب فهو يعادل نصف النصـيف هناك أيضـاً أي حوالي ١١/٤ كيلوجرام.

الثِّمِيْن: وهو نصف الربيع، ويسمى في الباحة الرابعة.

وكان يسـتخدم في وادي الـصفراء (الشطر) وهو نصف الكيلة.